القضية المصرية فى فكر الأفغاني
من الاستبداد إلى الثورة

تأليف
دكتور / السيد محمد سيد عبد الوهاب
أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد
ومدير مركز المخطوطات والبرديات العربية
كلية دار العلوم - جامعة المنيا

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا
وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

[سورة آل عمران : آية ١٠٣]

الإهداء

إلى أبطال المقاومة العراقية أملاً في غد مشرق

التصدير

الحمـــد لله رب العالمين ، نصير الموحدين ، وناصر المجاهدين ، المتفرد بـــالجلال والجمـــال ، سبحانه وتعالى ، وأصلي وأسلم على الهادي البشير والنور المبيـــن سيدنا محمد ﷺ إمام الأنبياء والمرسلين ، أرشدنا إلى الطريق المستقيم الذي لا يزيغ عنه إلا هالك ، فصلاة وسلاماً عليه وعلى آله الطيبين .

وبعد ...

فـــإن سياسة الاستعمار والاحتلال لسياسة مختلفة الألوان والأشكال الفكرية والاقتصـــادية والعسكرية ، ولعل ما حدث لأمتنا بعد سقوط الخلافة العثمانية من تفكـــك إلى دويلات أدى بنا إلى الفرقة والتشتت ، وما ترتب على ذلك من تخلف فكري وفقدان للذات وتعلق بالاستعمار ؛ وفق أشكال التعلق التي رسمها لنا بدقة ، ولعـــل الحـــال الـــذي نحـــن فـــيه دلـــيل على نجاح الآخر في اغتصاب هويتنا ومواردنـــا ؛ وكـــل هـــذا راجع إلى ترك موروثنا الحضاري والغفلة عن ثوابتنا الشرعية وإسقاط دعاوى المصلحين من أبناء الأمة من ذاكرة الأجيال .

ولهـــذا أردت أن أقدم نموذج الأفغاني في مقاومة الاستعمار ، وخاصة في مصـــر ؛ لمـــا وجدت فيه من استقراء دقيق من خلال فكر الرجل للواقع الحالي المتمثل في الاحتلال الأمريكي الإنجليزي للعراق .

هذه صرخة فكرية نستطيع من خلالها أن نتأمل ما نحن فيه لعلنا نستيقظ من جديد .

لا خلاف على أن جمال الدين الحسيني الأفغاني هو تلك الشخصية التي صنفت وكتبت في العلوم الإسلامية ، وجاهدت بالكلمة من أجل إعلاء الأمة ، ورغم ذلك تعد شخصيته من الشخصيات التي تحيرت فيها الأقلام مما أدى إلى تباين في الحكم على هذه الشخصية بين مؤيد لها عاشق لفكرها ، وبين ناقد متربص بها .

فاختلفت عليه الكتابات وتنوعت فيه الآراء غير أنني أردت أن أنقب في تراث تلك الشخصية من منظور خاص بعيداً عن مؤثرات طرفي الحكم في تقييم شخصيته سواء بالسلب أو بالإيجاب من خلال آثاره الفكرية ، واخترت موضوعاً بعيداً عن مواطن النزاع الفكري حول شخصية وفكر الرجل .

فتعد هذه الدراسة بمثابة بحث في " المسألة المصرية من خلال فكر الأفغاني ، ولا تقتصر الدراسة على هذه القضية فحسب وإنما تبحث في القضايا الفكرية والسياسية التي ترتبت عليها فيما يخص الأمة حيث أن الأفغاني يرى أن مصر هي بوابة الحرمين وشريان الأمة وهي الأمين عليها " .

كما يسميها أو يطلق عليها هو بنفسه فى آثاره ومؤلفاته التي قام بجمعها الباحث سيد شاهي خسرو وقدم لها الأستاذ الدكتور محمد عمارة ، فأردت أن أنهل من آثاره وأفكاره حتى لا أقع تحت طائلة الانتماء أو التحيز لفكرة قد أفتقد فيها الموضوعية العلمية أو يجانبني فيها الصواب .

ولعل هذه الدراسة تهتم بالفكر السياسي لهذه الأمة من خلال أبناءها الذين ساهموا فى إثبات هويتها من خلال ثوابتها الحضارية والتاريخية وموروثها الشرعي الأصيل النابع من الأحكام الإسلامية قرآناً وسنة .

ومن خلال قراءتي لما كتب الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم فى العروة الوثقى وغيرها من رسائل ومصنفات الأفغاني استوقفتني عدة ملاحظات :

(١) أن مصر لم تغادر فكر الأفغاني فى كل شاردة وواردة مما كتب ففى أغلب كتاباته وآثاره ورد ذكر مصر .

(٢) كان يرى أن مصر باب الحرمين الشريفين ومفتاح العالم الإسلامي وباب الهند .

(٣) كان يرى أن سقوط مصر هو سقوط الأمة قاطبة .

وبالتالي كان محور فكر الأفغاني "القضية المصرية" رغم أن قضايا الأمة لم تفارقه سواء فى الهند أو أفغانستان أو إيران أو تركيا آنذاك فالتكوين الفكري والحس السياسي عند الأفغاني صنعت منه علماً من أعلام هذه الأمة الذين يملكون التفكير المنطقي والعلمي القادر على استقراء الأحداث واستنباط النتائج وفق الواقع والظروف التي تفرضها المشكلة أو الآفة التي تصيب الأمة .

فأردت أن أنقب فى تراث الأفغاني عن المسألة المصرية على أن لا يتوقف البحث عند هذا الحد وإنما سنواجه الحاضر الفكري السياسي الذي تعيشه الأمة من خلال استقراء الأفغاني للأحداث وتنبؤاته لمستقبل الأمة الآن من أجل تقديم رؤية فكرية نكشف من خلالها عن ملامح الحالة الفكرية المعاصرة للأمة أو مستقبل الأمة السياسي في ظل العصر الحالي الذي نعيشه .

والــذي دفعنـــي إلـــى أن أســـلك تلـــك المســـالك الفكـــرية هو أنني عند قراءتـــي لدخـــول الإنجلـــيز مصـــر واحـــتلالهم لهـــا ومن خلال تتابعي لتطور حـــركة الأحـــداث تكشـــف لـــي أمـــراً عجيـــباً ألا وهو أن احتلال العراق هو نفـــس الســـيناريو التـــي احتلـــت بـــه مصـــر ســـابقاً يوما بيوم وحدث بحدث وصـــدق الأفغانـــي حيـــنما اعـــتذر فـــي أحـــد نصوصـــه للمدن الإسلامية فى قولـــــه : " وإنـــي اعـــتذر إلـــى حواضر المدن الإسلامية فى أن المدن التي لم تســـقط الـــيوم فإنهـــا معـــدة لهـــا الشراك لكي تسقط فيما بعد " ، وكانت العروة الوثقـــى بجانـــب مصـــنفاته إحـــدى مصـــادر الدراســـة الأساســـية مـــن خلال إعدادهـــا لأنهـــا بمـــثابة الإعـــلام الإســـلامي الذي اختبأ خلفه الأفغاني وتلميذه محمـــد عـــبده وكـــل مـــن ساهم في هذا العمل الذي كان بمثابة مُدافع عن الأمة ومُوقظ نهضتها .

ولإلقاء الضوء على تلك الشخصية الفذة ، وملامح فكرها السياسي من خلال "القضية المصرية" كان هذا البحث ، وقسمته إلى المباحث التالية :

(١). **المبحث الأول** : جمال الدين الأفغاني "سيرة ذاتية" .

(٢). **المبحث الثاني** : أهم القضايا الفكرية التي تناولها الأفغاني فى العروة الوثقى .

(٣). **المبحث الثالث** : منهج الأفغاني فى توحد الأمة ودور مصر فى ذلك .

(٤). **المبحث الرابع** : الاستعمار والمسألة المصرية فى فكر الأفغاني .

(٥). **ثم أهم نتائج البحث** .

(٦). **المصادر والمراجع** .

وبالله التوفيق &&&

المبحث الأول

جمال الدين الأفغاني "سيرة ذاتية"

الأفغاني "سيرة ذاتية"

ولـد فـي **أسـد آبـاد** ١٨٣٨م ، درس العلـوم فـي **النجف** لمدة خمس سنوات ، سافر إلى **الهند** لإكمال تعليمه[١] .

رفـض الإذعـان لأمـر والـده بالـبقاء لطموحه العظيم وقدراته العقلية الهائلـة فدائمـا مـا كـان يـرى أنـه صـقر محُلـق فى فضاء العالم الفسيح ويتعجـب ممـن يـريدون أن يحبسـوه فـي هذا القفص الضيق ويقصد موطنه آنذاك .

فقضـى فـي " **كلكـتا** " حوالـي العام فى التعلم والدراسة ، ثم سافر إلى جـدة للحـج وهـو فـي التاسعة عشر من عمره ومنها إلى **النجف وكربلاء** ثم إلـى **أسـد آبـاد** ، ثـم **طهـران** ثـم **خراسان** .. ثم إلى **كابول** فهو رحالة من طراز فريد ألِف الرحلة ولكن !!

لـم يكـن الأفغانـي .. رحالـة يبحـث فى عجائب الدهور أو يكتب فى الآثـار والأخـبار أو يـترجم لمـن أقُـبر وغـير ذلك وإنما كانت رحلاته أداة لـتجديد حـياة الشـرق والشـرقيين واتخذ من الثورة سبيلاً تصل الجماهير عن طـريقه إلـى مواقـع السـلطة والسـلطان كـي تملك بيدها مصائرها وتحرر طاقاتهـا ، واسـتهدف مـن وراء كـل ذلك أن يبعث روح المقاومة فى الشرق ضد الغزو الاستعماري الأوروبي[٢].

وكذلـك لـم يهـدأ له بـال حيـث أنه وضع تحرير الأمة من نير الظالم المعتدي نصب عينيه[٣] .

وكـأن الأفغانـي يـرى أن أفـراد الأمـة قاطبة مسئولة مسئولية كاملة عـن تحريـر ديـار المسـلمين مـن المسـتعمر كـل وفـق الدور المنوط به

والموقع الذي يعتليه سواء كانت مسئوليته اقتصادية أو فكرية أو أدبية أو سياسية إن مجموع هذه المسئوليات — لو صحت — لكاف لاستنهاض هذه الأمة ، للقضاء على الاستعمار أيا كان ، وبأى كيف يمكن .

مناصبه الإدارية : —

— ١٨٦٨م تولى الأفغاني الوزارة فى حكومة الأمير محمد أعظم خان بأفغانستان .

— ثم عزل من جميع مناصبه بعد تولى حكومة شير على خان وحوصر وظل مراقبا فى كابول .

— فكان لزاماً عليه أن يرحل إلى خارج البلاد ولم يكن له مطلق الخيار فى هذا الرحيل بل كان رحيلاً مقيداً بعدم السفر إلى إيران .

— فسافر إلى الهند ولم يطل به المقام إلا شهوراً رغم الرعاية والحب اللذين لاقاهما فى الهند .

— فحمل سراً على باخرة إنجليزية متجهة إلى مصر حتى لا يثور الناس .

— وقد وصل إلى القاهرة ١٨٦٩م وهناك التف حوله الناس وخاصة طلاب الأزهر وكبار رجال الدولة .

— ولم يطل المقام فى القاهرة أيضا إلا أربعين يوماً حمل بعدها إلى الأستانة .

نشاطه الفكري والسياسي : —

وبدأ نشاطه الفكري والسياسي من خلال المحاضرات

والـندوات التـي ألقاهـا مـن خـلال مفاهـيم تقـوم على تحرير الإسلام من التواكل والخرافة ويدعوا إلى عقلانية الفكر الإسلامي وبراهينه .

وسـرعان مـا انقلبـت علـيه دفة الأمور بعد النجاحات التي حققها ... فانقلبـت علـيه الأسـتانة مـن مركـز انطـلاق إلى مركز دسائس وتآمر من مركـز ظـنَّ أنـه موطـن إبداع إلى مركز اغتيال فكري قبل أن يكون اغتيالاً جسدياً .

ولعـل مشـروعه النهضـوي آثـار علـيه حفـيظة الـبعض مما دفع بالسلطان إلى أن يأمره بمغادرة الأستانة .

وهـذا يكشـف عـن أن اسـتبداد السـلطة يـؤدي بصاحب الفكر إلى الشـقاء والاغـتراب ؛ فسـلب الـراحة الفكـرية يضـني الأجسام فوق ضناها بالشقاء (٤) .

وهـذا حـال الأفغانـي فـي حلِّه وترحاله فوطنه رداءه ، وزاده علمه ، وفكـره وعالمـه الكـون الفسـيح الذي اختار أن يحلق فيه إلا أن هناك من لم يرُقه ذلك .

الأفغاني ومصر : ـ

غـادر الأفغانـي الأسـتانة فـي طـريقه إلى مصر مرة أخرى في مارس ١٨٧١م .

وقـد ظـن الـبعض أن فكـر الأفغانـي بذلـك انحسر غير أنهم أتاحوا لـبقعة أخـرى مـن أرض الإسـلام أن تـنهل مـن فكره الحرية ويوقظ فيها الوعي .

فوصــــول الأفغانـــي إلـــى مصـــر كـــان بمثابة بداية للصحوة المصرية مـــن الســـبات العمـــيق وقـــيد الجبرية الفكرية المطلقة القائمة على عدم الوعي والمرتـــبطة بـــتلك الطغمـــة الحاكمـــة التي تدير وتحكم التدبير وتبدع فى التآمر على أمتها وتجعل الشعب خدم للسلطان والحكام .

وانطلقـــت الشـــرارة التـــي أشـــعل فتيلها الأفغاني والتي أدت إلى إيقاظ المشـــاعر الـــنائمة والعقـــول المعطلـــة ، نعم لقد أزال جمال الدين الأفغاني عن المصريين آنذاك حجاب الغفلة وحرك فيهم التمرد .

ولـــم يكـــن هـــذا الأمـــر عشـــوائياً عـــند الأفغانـــي وإنما أمراً موجهاً ؛ فمصـــر أعطـــت الأفغانـــي ، كمـــا أعطاها أعطته زمناً أبدع فيه وجيلاً مستعداً للتلقـــي فـــنجح الأفغانـــي فـــى مصر .. فبذلك أحيا فى قلوب المصريين تراث أمـــة وأعـــاد لغـــة الخطـــاب الفكـــري الصحيح من جديد .. فظهرت المجلات والصـــحف التـــي عـــبرت عـــن الواقـــع الجديد وأثرت فى الحياة الفكرية إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

ومـــن هـــذه الإصـــدارات صـــحيفة مصـــر ، والتجارة ، وأمراء مصر التي ساهمت بدور حيوي في إيقاظ الشعب المصري .

وظهـــرت قـــدرة الأفغانـــي علـــى تحويل لغة الخطاب الصامت إلى لغة حركـــية تـــنقل الـــناس مـــن مرحلة القيود إلى مرحلة المطالبة بالحقوق ، ومن مـــرحلة الكمـــون إلـــى مـــرحلة الثورة على الظلم والمواجهة ، وهذا غاية مراد الأفغاني ثورة على الظلم من أجل تحقيق الحرية واسترداد الحقوق .

فكشـــف لـــنا الواقـــع الـــذي كـــان المصريين فيه آنذاك بين فكي الرحى طـــبقة مـــرفهة مـــن الشراكســـة وفلـــول مـــن المماليـــك ومســـتعمر أوروبي بأطماعه وشعب مطحون .

فكـــان انطـــلاق الأفغانـــي نحـــو تأســـيس أول أحـــزاب مصر الحديثة "الحـــزب الوطنـــي" حيـــث الـــتف حـــول الأفغاني خيرة شباب مصر من ساسة وأبـــناء الجـــيش وأهـــل الـــرأي .. وكـــان من ثمار هذا الحزب ثورة عرابي ١٨٨١م ضـــد الفســـاد والاســـتبداد ومـــن أجـــل رفع المعاناة والظلم عن كاهل هذا الشعب الذي تحمل كثيراً في ظل الاستعباد والاستبعاد .

فالمـــتأمل لـــبانوراما ثـــورة عرابـــي ضـــد الخديوي يجد أنها علامة من علامـــات بدايـــات الـــتمرد ورفـــض القهـــر التي كشفت عنها لغة الحوار بين ســـلطان جائـــر وطالـــب حـــق .. إنها المخاض الذي كشف عن ولادة انتفاضة الشـــعب المصـــري ولـــو لزمـــن قليل رغم أن هذا الحدث قد ساهم فى تسريع احتلال الإنجليز لمصر بعد استثمار إنجلترا الجيد لهذا الحدث .

[ولعـــل هـــذا الحـــدث قـــد ظهـــر فـــي اســـتغلال قضية أسلحة الدمار الشـــامل فـــي العـــراق ممـــا أدى إلـــى احـــتلاله مـــن خلال الولايات المتحدة وإنجلترا] .

وهـــنا لـــم يهـــدأ لقطبـــي العـــالم آنذاك إنجلترا وفرنسا من الآثار الجيدة التـــي تـــركها الأفغانـــي فـــي نفـــوس الشعب المصري وتحول هذا الشعب إلى المقاومـــة ؛ فمـــا كـــان مـــنهم إلا أن حمـــلا علـــى تحريض الخديوي كي يرى مخـــرجا مـــن المـــأزق الأفغانـــي بإخـــراجه وترحـــيله لعـــل فـــي ذلك إسكاتاً لصـــوته ، ولعـــل الـــتاريخ لـــم يطـــل كثيراً فيها فبريطانيا وأمريكا تطبق نفس الســـيناريو فـــى العـــراق بلغـــة جديـــدة رغـــم اختلاف الأشخاص . فشتان بين الأفغانـــي الـــثائر مـــن أجـــل الأمة ، وصدام حسين الذي خان الأمة بيد أعدائها الذيـــن نصـــبوا له شـــرك وأســـقطوه فـــيه تحـــت شعار إخراج ديكتاتور دمر شـــعباً وســـلب حريـــته ، ومـــن هنا ظهرت خطة الولايات المتحدة في احتلال العـــراق تحـــت شـــعار تقديـــم الحـــرية لدولـــة العـــراق الصديقة لشعب يعيش

المعانـــاة تبشـــيراً لغـــد جديـــد ..[محتل جديد !! فى ثوب ولغة تناسب العصر الذي نعيش فيه .. !!].

ففـــى ٢٤ أغســـطس ١٨٧٩م رحـــل الأفغانـــي تحـــت جنح الظلام إلى الســـويس ومـــنها غـــادر مصـــر تحـــت ســـيل من الدعاية الفاضحة وغرض الخديـــوي وزجالـــه إســـقاط صـــورة الأفغانـــي مـــن مناضل شريف إلى خائن عمـــيل وغـــير ذلـــك مـــن الاتهامـــات التي ساهمت المخابرات البريطانية فى إلصـــاقها وتســـريبها كمـــا نـــرى الآن فـــى عالمنا المعاصر حرب كانت خفية علـــى رجـــال الإســـلام فلمـــا ضـــعفنا أعلنت بكل شجاعة وقبلناها بكل سماحة دون أدنى مقاومة بمسماها الجديد .

ولكـــن الـــتاريخ حفـــظ للأفغانـــي تلـــك المواقف من خلال آثاره الفكرية التـــي فضـــحت بعـــد ذلـــك تلـــك الطغمـــة الحاكمة فى مصر وغيرها فى بقاع مختلفة من العالم آنذاك .

ووصـــلت ســـفينة الأفغانـــي إلـــى بومـــباي بالهند وظل بها عامين ولم تنقطع اتصالاته بمصر .

وقامـــت الـــثورة العرابـــية .. فضـــيق الإنجلـــيز علـــيه خوفاً من زيادة حـــركة الـــتمرد ضـــدهم ولمـــا فشـــلت الـــثورة العرابـــية واحتلت مصر كان الأفغانـــي خـــارج مصـــر فكـــان لابد من تغير استراتيجية المكان ولغة الحوار لقـــد حـــاول أن يوقـــف مؤامـــرة احـــتلال مصـــر ولكن لم ينجح فكان لابد أن يستمر .

فكـــان يجـــب علـــى الأفغانـــي أن يغـــير مـــن استراتيجيته فقد اتسعت المســـافات وتعـــددت الـــرؤى .. فشـــكل "العـــروة الوثقـــى" [٥] لـــبداية حركة تحرير جديدة .

ولمــا كــان لموقــع مصـــر الاســتراتيجي يجعلهــا مركز الصراعات الدولية مما أتى بالاحتلال الإنجليزي[٦] .

وضـــاقت علـــيه مصـــر بعــد احتلالها واعتقال ثوارها وسجن مفكريها ونفـــي علمائهــا وإغـــلاق الصــحف وتعطـــيل الحـــريات العامـــة المستعمرة البريطانـــية ، أو إيـــران التـــي لـــم يحـــتمل الشـــاة فيها آراء الأفغاني ، وكذا إســـتانبول التـــي قـــيدت عمـــل الأفغاني لما أغلقت أمامه كل هذه الأبواب فكر فى الرحيل فأدار دفة سفينته إلى أوروبا .

الهجرة إلى باريس : ـــ

فكانـــت الوجهـــة الأفغانـــية إلـــى أوروبـــا فاختار باريس وليس لـــندن حيـــث كـــان كفاحـــه ضـــد الإنجلـــيز .. وصل الأفغاني إلى باريس بعد فشـــل ثـــورة عرابـــي بعـــام ١٨٨٣م والـــتحق بـــه تلميذه وصديقه محمد عبده الذي كان منفياً فى بيروت .

جمعية العروة الوثقى : ـــ

وبـــدأت محـــركات فكـــرية جديـــدة تنطلق من باريس حيث بدأت شمس العروة الوثقى تطل على الأمة فى محاولة لإيقاظها .

وكان من أهداف الجمعية الآتي : ـــ

[١] الدفاع عن حقوق الشعوب المسلمة وخاصة مصر :

فمصـــر تعتـــبر عـــندهم مـــن الأراضي المقدسة ولها فى قلوبهم مـــنزلة لا يحـــتلها ســـواها ، نظـــراً لموقعها من الممالك الإسلامية ولأنها باب الحرميـــن الشـــريفين ، فـــإن كـــان هـــذا الـــباب أميناً على حواضر المسلمين صلح الحاضر واستمر المستقبل فى إشراقاته ونهضته .

فــي عــام ١٨٨٦م غــادر الأفغانــي بــاريس إلــى إيــران ومنها إلى روســيا ثــم إيــران ثــم لــندن عامــاً كاملاً يتجول فيه الأفغاني ينادي بقضايا الأمة محلقاً فى ربوعها من غير كلل ولا ملل .

غــير أنــه فــى عــام ١٣٦٠هـــ - ١٨٩٢م عــاد ثانية إلى إستانبول فوجد حظوة لدى السلطان عبد الحميد الذي تولى ١٨٧٦م .

السلطان عبد الحميد وجمال الدين الأفغاني : —

وكــان الســلطان عــبد الحمــيد يعــرف تاريخ الأفغاني النضالي والأفغانــي مــن جهــته كــان يدرك ما فى الدولة العثمانية من سلبيات وعوامل تدهــور ، وكــان يعــرف أثــر الإرث التاريخــي لالتفاف الأمة حول سلطانها فيــبدي تأيــيده للســلطان ، ويدعــو للالــتفاف حوله فى الوقت الذي كان يوجه فيه الانتقادات لسلبيات الحكم وانحرافاته .

وفــي الأســتانة كــان التلاقــي بيــن عــبد الله الــنديم الصحفي الأديب والــثائر المصــري المنفــي والأفغانــي تلمــيذه فكــان لقــاء الاستبصار الذي اتضــحت فــيه الــرؤية للأفغانــي حول الواقع المؤلم الذي ينتظره حيث المكائد والفتــن وعــدم الإخــلاص فــى انــتظاره فكــان لــزاماً عليه أن يحتاط لهذا الأمر .

وشــيئاً فشــيئاً ورغــم الجهــد الهــائل الذي بذلــه الأفغاني فى الأستانة وعــبر اتصــالاته فــى الهــند وإيــران ومصر لتوحيد بلاد المسلمين ، إلا أن آمالــه فــى إنجــاز شــيئ حقيقــي بــدأت فــى التلاشــي ، فلم تكن حماسته ولا إيمانــه ولا طاقــته هــي التــي نفذت ، ولكن تهادي المرحلة كان أكبر من عزمه ، وإيمانه .

وفــى عــام ١١١٥هــــ / ١٨٩٧م مــات الأفغاني عن عمر ناهز تسعة وخمســين ســنة مســموماً . ممــا يعــد ســيناريو سقراطي جديد حلق فى أفق الخيانة من أجل قتل نهضة الأمة !!

ولعــل مــا كتــب الأفغانــي مــن أشعاره لبعد شهادة ميلاد لميت يذكرنا بحاله :

طغاة إيران يحرقون

مني الجسد والروح

سأحزم أمتعتي وأرحل

صوب أرض تركيا

أرحل مرهقاً حزيناً وشقياً

طالباً العدل

فى محكمة السلطان

فإن لم يخفف السلطان

على قلبي المثقل

فسوف أرحل

طالبا العدل فى محكمة الله .

وهكذا كانت شهادة ميلاد الأفغاني .

آثاره ومؤلفاته : ــ

ولعل الجهد العلمي الرائع الذي قام به الباحث سيد هادي خسرو لشئ يحمد له في التصنيف والجمع فقد جمع لنا تراث الأفغاني فى تسع مجلدات ضمنها الآتي : ــ

(١) **العروة الوثقى ــ بالتعاون مع الشيخ محمد عبده تلميذه .**

(٢) **رسائل فى الفلسفة والعرفان .**

(٣) **رسائل ووثائق السيد ــ السياسية والتاريخية .**

(٤) **ضياء الخافقين ــ بالتعاون مع آخرين .**

(٥) **تاريخ إيران الملخص ــ وتتمة البيان فى تاريخ الأفغان .**

(٦) **رسائل ومقالات ــ باللغة الفارسية .**

(٧) **مجموعة المقالات ــ باللغة الفارسية .**

(٨) **خاطرات جمال الدين الأفغاني .**

(٩) **التعليقات على شرح العقائد العضدية .**

(١٠) **المستدركات ــ مقالات ــ ومكاتيب .**

المبحث الثاني

أهم القضايا الفكرية التي تناولها الأفغاني فى العروة الوثقى

تحتل إصدارات العروة الوثقى أهمية كبيرة فى البحث باعتبارها إحدى المحركات الفكرية لتواصل الأفغاني مع الأمة بعد أن اختار باريس منفى اختياريا له وهو صديقه الشيخ الإمام محمد عبده حيث صدر منها ثمان عشر عدداً فى الفترة من ١٥ جمادى الأولى ١٣٠١هـ ١٣ مارس ١٨٨٤م واستمرت حتى ١٣٠١ هـ الموافق أكتوبر ١٨٨٤م .

كيفية إصدارها : ــ

كان الأفغاني يقدم الأفكار والإمام محمد عبده يقوم بالتحرير وهذا ما نقله الشيخ رشيد رضا بأن الإمام محمد عبده كان يقول "كافة الأفكار كانت من السيد ، ولكن التحرير كان على عاتقي" (٧) وكانت مجانية .

لماذا صدرت العروة الوثقى : ــ

(١) كان فى صدورها محاولة للقضاء على الجهل الذي سيطر على الأمة وإيقاظ الشعوب الشرقية عامة والمسلمين خاصة من ظلم الغفلة وجور الظلم .

(٢) استنهاض الأمة من الخضوع والخنوع وسوء العادات وتباين الأخلاق .

(٣) حث الأمة على الاتحاد لدفع ما يحيط بها من الخطر ألزم من التحزب للجنس(٨) .

(٤) الثورة على كل صنوف العدوان من الداخل سواء كانت من

أصحاب العروش أو من الخارج كما حدث بمصر استغلال ثورة عرابي[٩] واعتبار السلطة أن ذلك عصيان واستيلاء الإنجليز على مصر بدعوى إنهم ليسوا قوة احتلال وإنما قوة تحرير واستقرار للقضاء على العصيان .

(٥) تبصير الأمم المسلمة من خلال العروة الوثقى بالحال الذي وصلت إليه مصر وخاصة إنها باب الحرمين الشريفين وباب الهند أيضاً .

(٦) إحداث التلاقي الفكري بين البقاع المؤثرة فى بقاع الإسلام فى مصر والحجاز ومكة والهند وإيران وتركيا .

ويختـتم مـراده مـن إصـدار العـروة الوثقى بقولـه : " ولما كان نيل الغايـة علـى وجـه أبعـد مـن الخطـر وأقرب إلى الظفر يستدعي أن يكون للداعـي فـي كـل قلـب سليم نفثة حق ودعوة صدق ، طلبوا عدة طرق لنشر أفكـارهم بيـن مـن خفـي عنه شأنهم من إخوانهم واختاروا لهم فى هذه الأيام جـريدة بأشـرف لسـان عـندهم وهـو اللسـان العربي ، وأن تكون فى مدينة حـرة كمديـنة بـاريس[١٠] ليتمكـنوا بواسـطتها مـن بـث آرائهـم وتوصيل أصـواتهم إلـى الأقطـار القاصـية تنبيهاً للغافل وتذكيراً للذاهل ، فرغبوا إلى السـيد جمـال الديـن الحسـيني الأفغانـي أن ينشـئ تلك الجريدة بحيث تتبع مشـربهم وتذهـب مذهـبهم فلـبى رغبـتهم بـل نـادى حقاً واجباً عليه لدينه ووطـنه وحلـف الشـيخ محمـد عـبده أن يكون رئيساً للتحرير فكان ما حمل الأول علـى الإجابـة ، حمـل الثانـي علـى الامتثال ، وعلى الله الاتكال فى جميع الأحوال .

العروة الوثقى ومنهجها : —

(١) إبراز الواجبات التي كان للتفريط فيها سبباً لسقوط وضعف الأمة ، وعاملاً من عوامل انهيارها .

(٢) كشف الغطاء عن الشبه التي شغلت أوهام المترفين الذين كانوا طريقاً لتثبيط الهمم وإفساد عزائم الإصلاح .

(٣) تنبيه الشرقيين إلى الرقي فوق النظرة الدونية التي يعيشها هؤلاء في مواجهة الأوروبيين وغيرهم .

(٤) إعمال رابطة الأخوة والعروة الوثقى بين الشرقيين .

(٥) دفع الشبة والأباطيل التي يرمى بها أهل الشرق عموماً والمسلمين خصوصاً .

(٦) تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة بين أفرادها وتأييد المنافع المشتركة بينها والسياسات القويمة التي لا تميل إلى الحيف والإجحاف بحقوق الشرقيين .

أهم القضايا التي تناولتها العروة الوثقى : ـ

وأردت هـــنا أن أقـــدم القضـــايا المهمـــة التـــي تعـــرض لهـــا الأفغاني في العروة الوثقى :

[١] قضية الجنسية والديانة الإسلامية : ـ

ويـــبدأ بقضـــية الجنســـية والديانـــة الإســـلامية فيرفض الأفغاني التعصـــب الأعمـــى للجـــنس الـــذي يـــراه نابعـــاً من الظلم الطبقي أو العدوان علـــى الغـــير ويقـــر بـــأن الإســـلام الأسباب فانمحت من الأمة عصبية الجنس لعدم الحاجة إليها واستقرت الأخوة القائمة على التقوى والعمل الصالح .

غـير أن الأفغانــي يتعجـب مــن إن بعضــاً مــن المسلمين على حكم الــندرة يعــز علــيهم الصــبر ويضــيق منهم الصدر لجور حكامهم وخروجهم فــي معاملــتهم عــن أصــول العدالة الشرعية ، " فيلجأون للدخول تحت سلطة أجنبية" (١١) .

تلــك كانــت رؤيــة الأفغانــي فى الماضي ولكنا نقول له فى زماننا هذا إن الكــثرة الآن مــن أبــناء هــذه الأمة لا تدخل تحت سيادة دولة فحسب وإنما أتــوا بالأجنبــي إلــى ديــارهم لــتحريرهم ولكن سرعان ما اكتشفوا أن ذلك ما هــو إلا احــتلال ولــنا فــي تجــربة احــتلال أفغانستان بدعوى لتخليصها من الإرهــاب ، ثــم العــراق ، ثــم الــتحرش بســوريا ثــم إيران ثم باقي البلدان الإسلامية .

فقــراءة الأفغانــي لذلــك الأمــر قراءة مستقبلية تعبر عن وعي سياسي وقراءة تاريخية أمينة لتعاقب الأحداث وتطور الأزمان .

[٢] قضية التعلق بالماضي دون النظر إلى الحاضر وعلاج عللها : ـــ

يــرى الأفغانــي أن اســتنهاض الأمــة لــيس بالاختــباء خلــف الماضــي والــتعلق بــه دون القــيام بالتربــية والإصــلاح فهــذا ضرب من ضروب الباطل .

ويــرى أن أمــراض الأمــم لا تعــالج بنشــر الجــرائد والمقالات دون تنبــيه الأفكــار وحســن الأخــلاق(١٢) ويلفــت الأنظــار إلى الجهل وما يترتب علــيه مــن قلــة القــراء وســوء الفهم وبالتالي يتحقق الضرر أضعافاً وتباعد المسافات بين أبناء الأمة وتعثر التوصل الفكري والجهل بالعلوم الجديدة .

ويرى الأفغاني الخلاص والعلاج فيما يأتي :

فـــي العــودة إلـــى صـــحيح الدين من أجل العمل بقواعده والأخذ بأحكامه والعمل على تطهير القلوب وتهذيب الأخلاق .

[٣] قضية انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك : ــ

يـــرى الأفغانـــي أن انفـــلات العقـــد وترك العمل بالشريعة وترك الأمصـــــار الإســـلامية تســـقط واحـــدة تلـــو الأخرى دون حمية الدين كان سبباً لانحطـــاط المســـلمين وانحلالهـــم ووهـــنهم وضـــعفهم وغيابهم من على ساحة الوجود الكوني ككيان يحسب له حساب .

وحمَّـــل الأفغانـــي علمـــاء الأمـــة المســـئولية لمـــا وصلنا إليه لأنهم لم يقومـــوا بإحـــياء الـــرابطة الدينـــية ويـــتداركوا الاخـــتلاف الذي وقع فى الملك بتمكيـــن الاتفـــاق الـــذي يدعـــو إلـــيه الدين وتبصير حكام هذه الأمة وإعادتهم من الغى إلى الرشد .

ويـــنكر علـــى العلمـــاء أيضـــا عـــدم التواصـــل بيـــنهم وافتقاد الرابطة الفكـــرية الموحـــدة التـــي توجهـــم وتعمق جهودهم الدعوية والفكرية فى البقاع المقدســـة وبيـــت الله الحـــرام حـــتى يتمكـــنوا مـــن شـــد أذر الدين وحفظه من قـــوارع العـــدوان والاتفـــاق والتواصـــل ضـــد الـــنوازل والكوارث التي تحيط بالأمة .

[٤] قضية تحرك دول أوروبا لاحتلال الشرق وسبات أهل الشرق : ــ

وكتـــب الأفغانـــي أيضـــاً يتعجـــب مـــن تحـــرك الآخـــر المحتل حيـــنما تـــتعرض مصـــالحة للخطـــر رغـــم أن هذه المصالح ليست هي حقوق تاريخـــية أو اقتصـــادية أو سياســـية وإنمـــا هـــي ضـــروب استبدادية مدعاتها القهـــر والـــذل والاســـتعباد مـــن أجـــل إحكـــام السيطرة على العباد والاستيلاء

علــى ثــرواتهم والأعجــب إنـــنا لـــم نـــتحرك واستســـلمنا بطرقنا الانهزامية المخـــتلفة حـــتى تفتتـــت عـــرانا عـــروة عروة وأتى الاحتلال فأطلق الأفغاني هذا المعنى "سبات من له حق وحراك من لا حق له".

ويـــتحول الأفغانـــي مـــن مناقشـــة القضايا الإسلامية التي أصابت الأمة مـــع دونهـــا مـــن الشـــعوب الأخرى إلى بعض الأمراض الفكرية التي تأصلت فـــي أمتـــنا ويعتـــبرها آفـــات يجب أن تقتلع من جذورها ومن هذه القضايا التي ناقشها :

(أ) قضية التعصب : ــ

فالتعصـــب كســـائر الأوصـــاف .. لـــه حد اعتدال وطرفاً إفراط وتفـــريط واعـــتداله هـــو الكمـــال الـــذي بينا مزاياه والتفريط هو النقص الذي أشرنا لرزاياه (١٣) .

١ ــ فالمسلمون تربطهم الرابطة الدينية .

٢ ــ والمسلمون لم يجبروا أحدا على الدخول فى الإسلام عنوة .

فهـــذا الـــذي دفـــع بالأوروبييـــن إلـــى العمل على تقطيع أواصر اللحمـــة والوحـــدة بيـــن المســـلمين فذرعـــوا القبلية والعصبية والفرقة والأفكار الهدامـــة كنشـــر الفكـــر الدهـــري ، والفكر الرافضي والماسوني أيضاً ، وغيره مـــن الحـــركات المعاصـــرة كالبابـــية والبهائـــية وعـــبدة الشيطان آنذاك والتي ارتـــدت ثوبـــاً فـــي الـــبداية إســـلامياً ثـــم ســـرعان ما انجلت حقائقها بعد أن تأصـــلت فـــي بقـــاع كثـــيرة مـــن مجتمعـــنا وأصـــبحت لها آثاراً خطيرة على عقيدتـــنا ووحدتـــنا تنتشـــر الآن فـــي صور جمعيات الروتاري ، وهي جمعيات خدمـــية تســـتغل مـــا تقدمـــه مـــن خدمات اجتماعية تخبئ خلفها الأفكار الهدامة التي تحاول طمس هويتنا وتدمير عقيدتنا .

(ب) ولما استشرت آفة التواكل فى الأمة نتيجة التأويل الخاطئ لمفاهيم القضاء والقدر ظهرت براعة الأفغاني فى علومه الكلامية فى الرد على الدهرية وغيرهم وقدم فهماً بسيطاً للناس للصحيح فى هذا المفهوم من أجل تخليص المجتمع من آفة التواكل وتوجه المجتمع إلى حسن التوكل على الله :

لاحظ الأفغاني ازدهار روح التواكل فى الأمة ، وانتشار البدع والخرافات ، وانتظار الغيب حتى يتحقق ، والتقاعس عن العمل ، ونصرة الدين تحت دعوى أن ما أصاب الأمة فإنه ابتلاء وكأن الأمة أصيبت بجبرية التواكل فتلبس على الأمة كما يقول "الصفات الرديئة أو الاعتقادات الباطلة" (١٤) وظن البعض أن تلك هي عقيدة القضاء والقدر ويرى أن هذا اعتقاد باطل لأنه نابع من اعتقاد فرقة الجبرية التي لم تفرق بين أية أفعال للإنسان وأفعال لله سبحانه وتعالى وأن الإنسان مضطر أو مجبر فى جميع أفعاله .

وهنا يبرز موقف الأفغاني من هذه القضية حيث نبه الأمة إلى أنه "إذا تجرد الاعتقاد بالقضاء والقدر من شناعة الجبر وتبعه صفة الجرأة والإقدام وخلق الشجاعة والبسالة" (١٥) لتحررت الأمة ولاستفاقت من الغفلة ولأحسنت الأخذ بالأسباب ولرد الله لها دينها وسلطانها .

(جـ) الفضائل والرذائل : ـ

فيرى الأفغاني أن حقائق الصفات الفاضلة وما ينشأ عنها من التعقل والتروي وانطلاق الفكر من قيود الأوهام والعفة والسخاء والقناعة والدماثة "لين الجانب" والوقار والتواضع والإيثار وغيرها .. فهي طريق الأمة إلى الاتحاد والالتئام التام .

ويـــرى أن الـــرذائل إذا فشـــت فـــى أمـــة نقضـــت بـــناءها وفرقـــت أعضائها ، وبددتها شيعاً وفرقاً .

ويعـــرج بـــنا الأفغانـــي إلـــى الـــتحذير الشـــديد من الوقوع فى الرذائل لأنهـــا مدعـــاة للفتـــن ووهـــن الأمـــة وكأنـــه يعقد المقارنة بين الرعيل الأول (النبـــي ﷺ وصـــحابته) الذيـــن تمســـكوا بالفضـــيلة فدانت لهم الدنيا ، وبين جيل ارتكب الكثير منه الرذائل فآلت الأمة إلى ما آلت إليه .

المبحث الثالث

منهج الأفغاني الفكري لتوحد الأمة

ودور مصر فى ذلك

" فـيا أيـتها الأمـة المـرحومة هذه حياتكم فاحفظوها ، ودماؤكم فـلا تـريقوها ، وأرواحكـم فـلا تـرهقوها ، وسعادتكم فلا تبيعوها بثمن دون المـوت ، هـذه هـي روابطكـم الدينـية لا تغـرنكم الوساوس ولا تستهوينكم الـترهات ، ولا تدهشـكم زخـارف الـباطل ، أرفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهـم ، واعتصـموا بحـبال الـرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها العربـي بالتركـي ، والفارسـي بالهـندي ، والمصري بالمغربي ، وقامت لها مقـام الـرابطة النسـبية ، حـتى إن الـرجل مـنهم ليألم لما يصيب أخاه من عاديات الدهر وإن تناءت دياره وتقاصت أقطاره " (١٦) .

ويـنفذ الأفغانـي إلـى مـراده فيضرب مثالاً بعلم التاريخ باعتباره العلم الباحـث عـن سـير الأمـم فـي صعودها وهبوطها وطبائع الحوادث العظيمة وخواصـها ومـا ينشـأ عـنها مـن التغـير والتـبديل فى العادات والأخلاق والأفكـار بـل فـي خصـائص الإحسـاس الباطن والوجدان وما يتبع ذلك من نشـأة الأمـم أو فـنائها هـذا هـو المـنهج الطبيعـي للفهم أما إذا ربطت هذه الأحـداث بـالفهم الخاطـئ للقضـاء والقـدر يقـوض الحـياة ويدفعهـا إلى الاستسلام والتواكل الذي يضيع الأمم (١٧) .

ويـرى أن فـي الاعـتقاد بالقضـاء والقـدر إذا تجرد عن شناعة الجبر يتـبعه صـفة الجـرأة والإقـدام وخلـق الشجاعة والبسالة ويبعث على اقتحام المهـالك .. هـذا الاعـتقاد يطـبع الأنفـس علـى الثـبات واحـتمال المكاره ومقارعة الأهوال (١٨) .

ويستدل الأفغاني فى هذا الموضع بقوله تعالى :

" الذيــن قـال لهــم الـناس إن الـناس قـد جمعوا لكم فاخشوهم فـزادهم إيمانـاً وقـالوا حسـبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم" (١٩) .

ويضـرب الأمـثال بالفـتح الـرائع للمسلمين الأوائل للممالك والأمصار فـيقول " إنهـم أدهشـوا العقـول وحـيروا الألـباب وقهـروا الأمـم وامتدت سـلطتهم مـن جـبال بيرينـي الفاصـلة بين أسبانيا وفرنسا إلى حدود الصين مـع قلـة عددهـم وعدتهـم .. ويـرى أن مـا حقـق لهم ذلك ما هو إلا فهم صحيح للقضاء والقدر " .

ويعقـد مقارنـة بيـن الأمـة المـتحدة والأمة المتفككة لاستشعار الفرد بالفروق بين الأمتين والنتائج المترتبة عن كل أمة .

فالأمـة يديـرها أفـراد "مـن هاماتهـا ويكون كل واحد منها قائما بحق الكـل ولا يخـتار مقصـداً يعكـس مقصـد الكل ولا يسعى إلى غاية تميل به مـن غايـة الكـل ولا يهمـل عمـلاً يـتعلق بالأمة حتى يكون الجميع كالبنيان المرصـوص" (٢٠) فهـي الأمـة التـي تسود فيها الفضائل وتستعلى فيها مكارم الأخلاق ويحدث الاتحاد للأمة .

وأمـا الـرذائل فهـي كيفـيات خبيـثة تعرض الأنفس للخيانة والغدر، والجبـن والدنـاءة والطـيش والـتهور وهـذه الـرذائل إذا فشت فى أمة فإنها تنقض بناءها وتشتت أعضاءها (٢١) .

وهـذا مـا أصـاب بعـض طوائف من المسلمين فى أقطار مختلفة من الأرض وسـلبهم تـيجان عـزهم وتنازعـت طوائـف أخـرى مـن المسلمين وأدى ذلك إلى الضعف والتفكك وهذا ما نحن عليه الآن (٢٢).

وبعـد أن قـدم الفـروق التـي أدت إلـى ضعف الأمة وانهيارها فيرى أن ذلـك لـيس نهايـة المطـاف فى ذلك الأمر لأنه يرى أن المسلمين لم يزالوا علـى أصـول الفضـائل الموروثـة عـن أسـلافهم وسـير الخلفاء الراشدين والسـلف الصـالح مرسـومة علـى صـفحات نفـوس الخاصة منهم "وأما ما طرأ على بعضهم من الغفلة إلا عرضاً لا يبقى وحالاً لا يدوم" (٢٣) .

وكـأن الأفغانـي يعـرض فـى مقدماته عوامل انهيار الأمة ولا يتركنا نلهـث خلـف تفكـير أجـوف للبحـث عـن حلـول فيرى الأفغاني أن يذكرنا بـبعض الماضـي ممـا صـنعت أيـدي المسلمين من مدن آهلة بالسكان ودور علـم وعلمـاء وكـان فـى **الشـرق** حكماء منهم **ابن سينا والفارابي والرازي ومـن يشـاكلهم** ، وفـى **الغـرب ابـن باجـة وابن رشد وابن طفيل** وما بين ذلـك أمصـار تـتزاحم فـيها أقدام العلماء فى الحكمة والطب والهيئة والهندسة وسـائر العلـوم العقلـية ، هـذا فضلاً عن العلوم الشرعية التي كانت عامة فى جمـيع طـبقات الملـة ، كـان خليفتهم العباسي ينطق بالكلمة في بغداد فيخضع لها ثغور الصين (٢٤) .

وكانـت لأسـاطيل المسـلمين آنـذاك "سـلطة لا تـباري فـى الـبحر الأبيض والبحر الأحمر والمحيط الهندي (٢٥) ذلك شأنهم الأول .

ولمـا أصـاب الوهـن أمـراء المسـلمين ، وضـرب الفسـاد نفوسهم بمـرور الـزمان ممـا أدى إلـى "إبادة مسلمي الأندلس ، وهدم أركان السلطنة التـيمورية فـى الهـند ومحـو أطلالها وعلى رسومها شيد الإنجليز ملكهم بتلك الديار هكذا فعل السفهاء بالممالك الإسلامية" (٢٦) .

ويطـرح الأفغانـي أن وحـدة الأمـة لابد أن ترتبط بالسيادة والاعتصام بحـبل الله تعـالى فـى قولـه تعالى : "إنما المؤمنون أخوة" (٢٧). وهذا يدفعنا إلـى الالـتزام بإصـلاح ذات البيـن عند التخالف فى قوله تعالى "وإن طائفتان

مـــن المؤمنيـــن اقتـــتلوا فأصـــلحوا بيـــنهما فـــإن بغـــت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله" (٢٨) .

ويحســـم ذلـــك المخلصـــون مـــن أبناء الأمة الواثقين بوعد الله فى نصر مـــن ينصـــر الله الثابـــت فـــى قولـــــه " إن تنصـــروا الله ينصـــركم ويثبـــت أقدامكم" (٢٩) .

فتأصـــيل الوحـــدة والـــتطلع للســـيادة وصـــدق الرغـــبة فى حفظ حوزة الإســـلام كـــل هـــذه صـــفات كامنة فى نفوس المسلمين قاطبة لأنها فرض على كل مسلم إن أخذ بأسبابها تحققت .

ويواصـــل الأفغانـــي مـــنهجه فـــى استنهاض الأمة فيطرح تساؤلاً مؤداه هـــل نـــتوقف عـــن اســـتنهاض الأمـــل أم أن هـــناك أمـــل يطل فى آخر النفق المظلـــم ؟! فـــيرى أن "الأمـــل ضـــياء ساطع فى ظلام الخطوب ومرشد حاذق فـــى بهـــاء الكـــروب وعلـــم هاد في مجاهيل المشكلات وحاكم قاهر للعزائم إذا عـــرتها فـــترة (٣٠) فـــالأمل مدعـــاة للـــرفعة وطريقاً للثقة بالنفس للوصول إلى الغايـــة وهـــذه مســـئولية العلمـــاء ولـــيس لهـــم عـــذر لأنهـــم حفظـــة الشرع والراســـخون فـــى علومـــه ، لـــم لا يســـعون فى توحيد متفرق المسلمين ؟؟ لم لا يـــبذلون الجهـــد فـــى جمـــع شـــملهم ؟ لم لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد مـــن ذات بيـــنهم ؟! ، لـــم لا يـــأتون علـــى ما فى الطاقة لتقوية آمال المسلمين وتذكيرهم بوعود الله الذي لا يخلف وعدة (٣١) ؟!

فساد الحُكام وغياب العلماء وراء انهيار الأمة : ــ

ويكشـــف الأفغانـــي أن حـــال انهـــيار الأمـــة راجع إلى ما عليه أمراء المســـلمين ، حيـــث ســـلموا أمورهـــم ووكلوا أعمالهم من كتابة وإدارة وحماية للأجانـــب عـــنهم ، بـــل زادوا مـــن مـــوالاة الغـــرباء والثقة بهم حتى ولو هم خدمـــتهم، الخاصـــة بهـــم فـــى بطون بيوتهم ، بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكهم

فى ممالكهم .. فهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم (٣٢) .

فـيحض هـؤلاء الأمـراء إلـى العـودة إلـى إعمال أبناء الأوطان فى صـلاح وقـيادة الأوطـان لأنهـم خـير عـون وأفضل نصير(٣٣) سواء كانوا العلماء أو القائمين على الوظائف المختلفة .

لأن الأمـة إذا جحـدت حـق العـامل لهـا ، أو قصرت فى استحسان عملـه ، ضـعفت الهمـم ، وقـل السـعي فـى المصـالح العامة ، وانقبضت الأيدي عن تعاطيها ، فهبطت شئون الأمة ، فافترقت وماتت (٣٤) .

والأمـة التـي لـيس لهـا فـى شـئونها حل ولا عقد ، ولا تستشار فى مصـالحها ، ولا أثـر لإرادتهـا فـى مـنافعها العمومـية ، وإنما هي خاضعة لحـاكم واحـد إرادتـه قـانون ومشـيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد إنه الاستبداد والقهر الذي يعقب موت الشعب وحياة الحكام .

والأفغانـي يغـوص بـنا إلـى جـذور المسـألة فى أن الحاكم الفرد أو حكم الفرد المطلق العاري من الشورى إنه الحاكم المستبد (٣٥) .

الـذي لا تحـركه مصـلحة أمـته أو حـتى شعبه الذي يحكمه ومسئول عـنه وإنمـا يسـخر الشـعب لخدمـة الحاكم ، وإلا على الشعب أن يدفع عنه فيوضـح لـنا سـمات الحـاكم المستبد وخصاله وأفعاله من خلال رؤيته لحكام الأقالـيم الإسـلامية فـى عصـره فكـأن ذلك قراءة من الأفغاني لحال الحكام فيصفهم للعامة والخاصة .

الحاكم المستبد عند الأفغاني الذي هو : ـ

ـ جاهل سيئ الطبع .

ـ شرهاً مغلتماً جباناً .

ـ سافل الهمة .

ـ ضعيف الرأي .

ـ أحمق الجنان .

ـ خسيس النفس .

ـ معوج الطبيعة .

ولما ابتليت الأمة بهؤلاء أصابها الفقر والجهل والظلم والجور وتفتتت واختل نظامها وفسدت أخلاقها وأصبحت لقمة سائغة للطامعين يضربون بمخالبهم فى أحشاء الأمة (٣٦) .

موقف الأفغاني من الحاكم المستبد : ـ

يرى أنه لابد من اجتماع أهل الرأي وأرباب الهمة لاجتثاث هذه الشجرة الخبيثة "استبدلوا لخبيث بالطيب" (٣٧) .

وإن فشل أصحاب الرأي فى اجتثاث الحاكم المستبد لم يقدم الأفغاني فى هذا الموضع طرحاً آخر غير خلع الحاكم .

وإن كان الأفغاني قد أفرد موضعاً كاملاً فى رسائله عن الحكومة التي منها الاستبدادية فيرى أن الحكومة الاستبدادية باعتبار عناصرها الذاتية وأقانيمها الحقيقية التي هي عبارة عن أمير أو سلطان ووزراء ومأموري إدارة جباية وتنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

١ ـ **الحكومة القاسية** : وهي شبيهة بقطاع الطرق فى سلب أموال شعوبهم وتركهم حفاة عراة تتقطع بهم سائر مواد الحياة ولا تأخذهم شفقة ولا رحمة بشعوبهم .

٢ ـ **الحكومـــة الظالمـــة** : وأولـياء هـذه الحكومـة تمـاثل الأخسّـاء الذيـن يسـتعبدون أناسـاً خلقـوا أحراراً ظلماً واعتداء فيفقدوهم البعد الإنساني إلى الإحساس بالبعد البهيمي .

٣ ـ **الحكومة الرحيمة وتنقسم إلى : ـ**

أ ـ الحكومة الجاهلة .

ب ـ الحكومة العالمة .

فالحكومـــة الجاهلـــة : وهـي حكومـة عشـوائية تقـوم علـى أوليات الحياة دون النظر إلى التقدم وأسبابه .

أما الحكومة العالمة وتنقسم إلى :

الحكومـــة الأفيـــنة : وهـي حكومـة الأنانـية تقـوم علـى الحكـام ومصالحهم .

الحكومـــة المتنســـطة : وهـي حكومـة مـن الأساطين تقوم على تأمين مستقبل أبناء حكامها فقط .

ويـبقى الأفغانـي الحكومـة الرحـيمة الحكـيمة باعتـبارها الخـلاص فالأفغانـي يـرى أن إرادة الشـعوب المسـلمة الموحدة هي المحرك لصيرورة الأمـة واسـتمرارها وازدهارهـا فـى كنف سلطة عادلة تحكم بالعدل فى ظل شـورى تقـيم العـدل وتدفـع الظلـم عن الأمة وتجعل لنا كيانا وسط الكيانات العالـ (٣) .

المبحث الرابع

الاستعمار والمسألة المصرية

يقــدم الأفغانـــي طــرحاً جـيداً لمفهــوم الاســتعمار المتمثل آنذاك فى إنجلــترا التــي هــي أمــة مجــتمعة القوى سيطرت على أغلب الشرق المنهار القــوى بوهــم نــابع مــن بعض غرائب الصنعة الأوروبية ، فاستخدم الإنجليز الحــيلة والمكــر السياســي حــتى استولوا على الشرق اقتصادياً وقسمت الهند بيــن دول الاســتعمار آنــذاك فرنســا وهولــندا والــبرتغال فأبــرزت إنجلترا حيلــتها بأنهــا المخلــص للهــنود مــن الاســتعمار وإنها قوات تحرير وليست قــوات احــتلال قــوات تســاعد علــى الاســتقلال ولعل المتتبع لما حدث على الســاحة الدولــية فــي هــذا الــزمان من احتلال دولة مسلمة ألا وهي العراق تحــت دعــوى القضــاء علــى الديكــتاتورية وتحرير الشعب العراقي وتحقيق المســاواة بيــن طوائــف الشــعب المخــتلفة فــنجد أن ثمــة توافق عجيب بين أحــداث الأمــس والــيوم فــالأمس كــان تحالفاً استعمارياً بين إنجلترا وفرنسا والــيوم تحالفــاً بيــن الولايــات المــتحدة وإنجلترا فى هذا اليوم بنفس المفاهيم وبنفس الأفكار والعجيب أننا فى كل الأحوال مواطن الاحتلال .

والأفغانــي يــرى أن تعطــل شــعب الهــند وغيره من الشعوب المحتلة عــن الاســتنهاض لمقاومــة الاحــتلال فــترة مــن الزمــن نتــيجة الانــبهار الإعلامي والوهم التقني آنذاك المعتمد على الاستفادة من جهلنا المحدق .

ويــرى كذلــك أن اتســاع رقعــة الصــراع ما بين العثمانيين والإنجليز والروس كان سبباً آخر فى تأخر الانتباه للمستعمر .

بمعــنى إلهــاء الهــنود عــن أن لهــم صفة استعمارية فى مقابل تزكية تخلص الهنود من الحكم العثماني .

ألاَ تعتبروا يا أولى الأبصار أمر عجيب إننا لا نحسن قراءة التاريخ بل إننا أمة أعماها غيها عن تاريخها وعن مدى الاستفادة منه .

ويضرب مثالاً بالقضية المصرية : ــ

فالمسألة المصرية كما يراها الأفغاني كانت تعد من أهم المسائل التي واجهت الدولة العثمانية في مشكلاتها انقسم المصريون إلى مؤيدي عرابي ومؤيدي توفيق باشا وكان تأييدهم لعرابي ميلاً بالقلوب فدخل الإنجليز مصر بلا حرب حقيقي وهذا راجع إلى فشل الثورة العرابية .

وذلك راجع لعدة أسباب : ــ

(١) تساهل المصريون فى أمر بلادهم بحسن ظنهم فى الإنجليز .

(٢) الوهم الذي سيطر على المصريين من خلال سرعة سيطرة الإنجليز على مصر[٣٩] .

(٣) الجبن باعتباره فخ تغتال به نفوس الناس وتلتهم به الأمم والشعوب.

(٤) الخيانة التي مؤداها تمكين العدو من أرض الوطن [٤٠] وتسكينه.

ويرى الأفغاني أننا كأمة إسلامية ينبغي أن تكون أبعد عن هذه الخصال [٤١] .

ويتواصل الأفغاني مع القضية المصرية : ــ

فينــبه المصـــريين إلـــى طـرق الإنجلـــيز فى الانقضاض على مصـــر فـــيقول "زحـــف العـــدو إلـــيكم تحـــت راية المحبة ، ثم قلب لكم ظهر المحـــن وتـــناول بـــيده الظالمـــة شـــئونكم العامة ، من عسكرية ومالية وإدارة وقضاء (٤٢) .

ولـــم يـــبق لكـــم شـــيئاً إلا الحـــرمان من خدمة أوطانكم ، وأنتم أحق بها وطالما دافعتم عنها فى الأيام السابقة .

وينـــبه الأفغانـــي الأمـــة المصـــرية إلـــى أن الإنجليز ليسوا بالقوة التي تهاب وإنما هم قوة يمكن أن تنهزم وتنهار .

ويـــرى ذلـــك فـــى المقاومـــة المســـتمرة التي تقلق العدو حتى لا يستقر ويتمكـــن مـــن المكـــان فيســـيطر علـــيه ويبســـط نفـــوذه فالمقاومـــة تؤرقهـــم ولنضـــرب مـــثلاً بالعـــراق فـــى العصـــر الحالـــي حيث ظن المستعمرون أن الشـــعب العراقـــي سيســـتقبلهم بـــالورود والقـــبلات وكشفت المقاومة عن معدن المسلم الأصيل فى مواجهة المحتل .

ويذكر الشعب المصري ببيت من الشعر :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم(٤٣) .

ويكشـــف فـــى وضـــوح جلـــى لم احتلال مصر لأن شأن دولة بريطانيا تأميـــن مصـــالحها فـــى الهـــند وقـــناة السويس هي الشريان الحيوي الذي يحقق لها ذلك فلابد من تأمين هذا المرفأ .

ثـم فصـل السـودان عـن مصـر لتكون سلطنة مستقلة[٤٤] تستفيد منها بريطانيا وتشغل المصريين بحرب جديدة تنهكهم فلا تقوم لهم قائمة .

ويعـزى ذلـك الاحـتلال البغـيض إلـى خير مصر ونهضتها منذ عهد محمد على باشا .

ويكشـف عـن مـا فعلـته إنجلـترا بعـد الاحتلال فى تحميل الخزانة المصـرية تكالـيف احـتلالها لمصـر والـذي بلغ أربعة ملايين جنيه مصري وكذلـك تحمـل مصـاريف حـرب السـودان وهذا ما تفعله الولايات المتحدة فى العراق الآن من خلال الاستيلاء على بترول العراق .

إلغـاء الجـيش الوطنـي المصـري جيش محمد على وابنه إبراهيم باشا لكسـر شـوكة المقاومـة وهـذا مـا حـدث فى العراق باتهام الجيش بالتبعية والخـيانة وتبعيـته للديكـتاتورية فهـو بـلا شك سيقوض الحرية التي أتى بها المسـتعمر علـى فهـوة دبابـة ودانة مدفع وقاذفة طائرة وغيرها من الأسلحة الفتاكة التي لا تعرف إلا لغة القتل لكل عربي أو مسلم .

تدمـير الصـناعات الوطنـية آنـذاك ممـا أدى إلـى تدمـير الاقتصاد المصري وذلك بعد تخريب الزراعة والصناعة .

إلغـاء شخصـية وهويـة المواطـن المصـري ويـنادي الأفغانـي المصـريين بـأعلى صـوته ليكشـف حقـيقة بريطانـيا بأن تلك الدولة دخلت بـلاد البـنجاب لصـلاح شـئونها فهـي تحـتلها منذ أربعين عاماً ولم تخرج فماذا أنتم فاعلون [٤٥] .

ولمـــا كانـــت الســـودان هـــي الجـــزء الجنوبـــي لمصر فلم تلبث قضية الســـودان أن فجـــرت تحـــت دعـــوى اســـتقلالها إلا وعـــاد جوردن لإباحة بيع الرقـــيق وإلغـــاء معـــاهدة ســـنتي ١٨٧٧م ــ ١٨٧٩م ثم أهدر كرامة السلطان فى حكمه بطرق مختلفة (٤٦) .

ولـــم يقـــدم المســـتعمر مـــا وعد من حرية إنما أعلن عجزه عن مساعدة الحامية المصرية الموجودة فى السودان .

والقضـــية المصـــرية كمـــا يـــراها الساســـة الإنجلـــيز ما هي إلا دولة تحـــتاج إلـــى مســـاعدة هكـــذا يرى (جلاد ستون) أن البلاد المصرية تحتاج إلى إقـــرار الـــراحة وتخليصـــها مـــن خلل الفوضى ومن مصلحة إنجلترا أن تتولى إغاثتها مما وقعت فيه فمد يده إليها لوضع قواعد العدالة (٤٧) .

وهـــذا الموقـــف أدى إلـــى اضـــطراب أفكار السياسيين من الإنجليز فى لـــوم الحكومـــة علـــى سياســـتها المصرية ، وهذا ما ذكره اللورد سالسبري فى بعـــض الاجـــتماعات العظـــيمة : إن الحكومـــة الإنجلـــيزية بالـــتواء سياستها وتذبذبهـــا وضـــعت مـــن شـــرف إنجلترا وخفضت اسمها وعرضت مصالحها فـــى الهـــند للخطـــر ، وكذلـــك مســـتر بلونـــت الذي يرى أن على سائر الدول والحكومة الإنجليزية أن تجعل البلاد المصرية مستقلة (٤٨) .

ويكشـــف مـــا جـــرى فـــى الـــبرلمان الإنجليزي أن مصالح إنجلترا فى المقـــام الأول هـــو أن تـــبقى الـــثغور المصـــرية (من الإسكندرية إلى ما وراء عـــدن فـــتدخل رشـــيد ودمـــياط وبورســـعيد وســـواكن ومصوع) بيد الإنجليز مادام المصريين عاجزين عن الدفاع عنها (٤٩) .

وهاهـي مصـر تـتأرجح بيـن حكومة مصرية ضعيفة ومستعمر يحكم الخـناق علـيها وإمـبراطورية عثمانـية ليس لها سلطان فالباب العالي لا يملك إلا الضـجر مـن إجحـاف إنجلـترا وجورهـا عن العدل وتصرفها فى مصر دون رضاء السلطان(٥٠) .

رغـم الفـرمان السـلطاني أن مصـر بحدودها الطبيعية وملحقاتها تُعد مـن الأمـلاك العثمانـية ولا تفـتح قـناة السـويس إلا بعـد اسـتئذان الباب العالي(٥١) .

فـلا بـاب عالـي ولا دولـة عثمانـية وإنما استعمار واحتلال واستعباد واستبداد .

فبريطانـيا العظمـى آنـذاك هـي القطب الواحد الذي نعيشه الآن الذي يصدر الأحكام ولا يخضع لأى أحكام تخالف مصالحه .

تجـربة إنجلـيزية فـى مصـر تحاكـيها الآن تجربة إنجليزية أمريكية فـى العـراق وهـذا يكشـف وقاحـة الإنجلـيز فى الإعلان الواضح أن ذمة إنجلـترا توجـب علـيها أن تدخـل مصر تحت حمايتها وتتولى إدارتها بصفة سـيد حـاكم لا مستشـار ناصـح ، ويصـرح وزيـر حربيـتهم آنـذاك بأن الضـرورة تلجـئهم إلـى مـثل هـذا العمـل ويعـبر عنه أحياناً باسم الحماية وأخرى بما لا اسم له سواها (٥٢) .

وأول تحقـق المقاصـد الإنجلـيزية فـى مصـر هـو طـرد العساكر المصـرية الوطنـية لأن أهالـي مصـر يفـرحون بذلك لأن الإدارة المصرية وفـروعها فـى حاجـة إلـى إصـلاح حقيقـي ولـن يقـوم بـه إلا رجـال الإنجليز(٥٣) .

وطـــردوا فعـــلاً أو ســـرحوا الجـــيش ثم اختاروا من الأهالي جنداً جديداً فى عدد غير قليل (٥٤) .

والقضـــية المصـــرية تتســـارع داخـــل بريطانـــيا بيـــن الفئة الاقتصادية " فـــريق الجمعـــيات والشـــركات الماليـــة" وهـــذا تدعمه قوى خفية منها فرنسا وأوروبا من أجل الحفاظ على جزء من الغنيمة اقتصاد مصر".

وفـــئة تـــتعفف مـــن عـــدم احـــتمال حكومـــة بريطانيا على إدارة البلاد المصرية لما قد يكلف الحكومة البريطانية ما لا تستطيع تحمله وتكلفته .

وهذا يكشف أن الفريقين لا يختلفون إلا فى شقائق الألسن (٥٥).

ويتواصـــل المخطـــط البريطانـــي فـــى دعـــوة أهالـــي مصر إلى طلب حمايـــة إنجلـــترا لهـــم وذلـــك "بتكلـــيف الأهالي بتحرير محاضر يلتمسون فيها حمايـــة دولـــة إنجلـــترا وفـــى المقـــابل ظهر فرنسا بريطانيا حلمها فى استفادة حصـــتها لســـلطتها علـــى مصـــر وأوروبـــا تقـــف مستريحة فى حالة ضعف الإنجليز فى مصر .

اســـتغلال الوظـــائف المصـــرية التـــي تقلدهـــا الإنجلـــيز لإغـــراء المصريين تارة وإذلالهم تارة أخرى، (٥٦) .

احـــتلال الســـودان لإيجـــاد موضـــع قـــدم فى الخرطوم فى حالة فشلهم فى مصر واعتراض بعض الدول ذات المصالح على مصر(٥٧) .

محاولـــة إثـــارة الفتـــنة الطائفـــية بيـــن المسلمين والمسيحيين وخاصة فـــى صـــعيد مصـــر(٥٨) . كمـــا يحدث الآن بالعراق من إثارة فتنة بين طوائفه المختلفة .

طــرد آلاف مــن الوطنييــن مــن وظــائفهم الحكومية (٥٩) . كما حدث مــن تدمــير مــرافق الدولــة العراقية وتشريد موظفيها بدعوى العمالة والتبعية للنظام السابق .

فــرمان الدولــة العثمانــية باعتــبار عرابي ورفاقه في مرحلة عصيان وتمــرد ممــا ســهل علــى الإنجلــيز دخــول مصــر(٦٠) . كاعتبار المقاومة الوطنية في العراق حركات إرهابية " أصولية " .

رفــض المراقــبة الدولــية لأن الإنجلــيز ســادات مصــر يفعلــون ما يشــاءون ولــيس لــنا أن نعارضــهم فلا المراقبة الثنائية ولا التدخل العسكري ولا المراقــبة الدولــية(٦١) . كمــا هــو الحال في رفض تدخل العالم في العراق لأن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي لها حق السيادة في العراق.

وهــذا يكشــف عــن موقــف الحكومــة الإنجليزية في التهامها الممالك الإســلامية واحــدة تلــو الأخــرى . كمــا يكشــف الآن عــن موقف الحكومة الأمريكــية بمعاونــة الصــهيونية العالمــية في التهام الدول الإسلامية دولة تلو الأخــرى تحــت مســميات اقــتلاع محــور الشــر ونشر الحرية على الطريقة الأمريكــية لهــذه الشــعوب ســواء كــان ذلــك على فوهة مدفع أو من خلال عملائهم من خونة هذه الأمة .

ويظهــر حــب مصــر فــى قلــب الأفغاني فيكتب بحرقة أسى " أن كل المســلمبن فــى كــل أرض مصــر يحــركهم مــا يجري فى مصر لأنها بهرة الإســلام وبــاب الحرميــن الشــريفين ، فكــل نازلة بها تزدري الدين وتصدع من أركانه .

ويـــرى الأفغانـــي أن المســـألة المصـــرية أعـــادت التوحد من جديد إلى قلوب الأمة وأحيت الأخوة الدينية (٦٢) .

ويفضح مخطط الإنجليز فى عاداتهم عند احتلال أى قطر :

١ ــ إنهم لا يصرحون باحتلال القطر حتى يتمكنوا من احتلاله .

٢ ــ إنهـــم لا يملكـــون قـــوة بـــرية ولكـــن تمـــتلك البعد الإعلامي فى التهديد والتهويل(٦٣) .

ويضـــرب ذلـــك مـــثالاً بفشـــل الإنجليز فى أفغانستان عندما ثار الشعب ضدها وخرجت منها .

ولعـــل مـــا حـــدث مـــع الإمـــام الشـــيخ محمد عبده فى لندن لخير دليل على بشاعة الإنجليز رغم تلون وجوههم .

فقـــد ســـأله اللـــورد هرتنكـــتون وزير الحربية الإنجليزية : ألا يرضي المصـــريون أن يكونـــوا فـــى أمـــن وراحـــة تحـــت سلطة الحكومة الإنجليزية ألا ترون حكومتنا أفضل من الأتراك ؟!

فأجابـــه الشـــيخ محمـــد عـــبده : إن المصـــريين قـــوم عـــرب وكلهم مســـلمون إلا قلـــيلاً وفـــيهم محبـــي لوطنهم مثل الإنجليز ، فلا يعقل الخضوع لسلطة من يخالفه فى الدين والجنس .

فقـــال : هـــل تـــنكر أن الجهالـــة عامـــة فى أقطار مصر ، وأن الكافة لا تفرق بين الحاكم الأجنبي والحاكم الوطني ؟!

فـــرد الشـــيخ فـــى قـــوة : إن النفرة من ولاية الأجنبي ونبذ طبع سلطته لا يحتاج لدرس أو مطالعة وهو شعور فطري (٦٤) .

هــذه وجهــة نظــر الاســتعمار فيــنا أن الجهل به تحتل الشعوب وتقاد وبالتالــي فــي حالــة ســيطرتهم علــى دولة فإنهم ينصبون إما ضعيفاً أحمق ، وإما صبياً لم يبلغ الرشد .

وهــذا مــا حــدث فــي مصــر عــندما رضى المصريون على أنفسهم عــار الــذل اســتخدام توفــيق باشا ١٨٧٩ (٦٥) كحاكم لإدخال الإنجليز مصر ، ثــم خلــع توفــيق وتولــى عــباس ولده الأصغر وفق فرمانات الدولة العثمانية وعيــن نوبــار باشــا للــوزارة فاكتملــت الصــورة فــلا هو مسلم فيغار على ديــنه ، ولا هــو مصــري فيحتمــي على وطنه ، ولا هو عربي فتأخذه النعرة علــى جنســه ، وبالتالــي يــنال ســلطة الحكــم أى فــترة تحت ظل الحكومة الإنجليزية التي لن تعزله لأنه يحقق رسالتها (٦٦) .

وكــان احــتلال مصــر إعــلان مــن جهة إنجلترا بتفكيك الإمبراطورية العثمانية (٦٧) .

وبدأ الأفغاني نضاله ضد الإنجليز فى مصر بإعلان قيام الحزب الوطني :

فــإذا كــان الاســتبداد قــد قــيد الأمة بسلسلة واحدة لا تتحرك إلا وفق رضــاه ومبــتغاه ، فعلــى الأمــة أن تــتحرك لتصــعد إلــى معــارج العزة والثروة .

وهــذا لــن يحــدث إلا بحــدوث حــزب مــن الوطنييــن يعلمــون أن لا شــرف لهــم إلا بجنســهم ولا قــوة إلا بأمــتهم ولا فخــر إلا بوطــنهم ، فالأفغاني يريد حزباً يصون لوطننا حقوقه ويحفظ عليه بهاءه .

والحــزب الوطنـــي لا تحصـــل له القـــوة ولا يكـــون له الـــبقاء ، ما لم يكـــن لأهـــل الوطـــن لغـــة جامعـــة ، مهذبة التراكيب جيدة الأساليب ، فإن لم يكـــن لهـــم ذلـــك لا تســـتقر لهـــم المعارف ولا تقيم بأحيائهم العلوم وإن ذهب جماعة كثيرة منهم إلى أوروبا .

ويقدم لنا ثوابت إنشاء الحزب واستمرار نجاحه : ــ

(١) إنشاء قاعة للخطابة يقوم من خلالها الخطباء الألباء بدورهم فى إيقاظ الشعور الوطني عند المصريين .

(٢) تعليم الناس أسباب السقوط ووسائل الهبوط .

(٣) إنشاء الجرائد الحرة الوطنية القائمة بأمر الوطن الآخذة بأطراف الحق[٦٨] .

(٤) التحول إلى استنهاض النساء بتعليمهم ومشاركتهم فى الحياة وتبصيرهم بحقوقهم وواجباتهم لأنهن معين تربية الولد .

ثم بعد ذلك يكشف أسباب الحرب على مصر : ــ

لعـــل الأســـباب المعلومـــة التـــي يتـــناقلها البعض من أهل مصر عن أسباب احتلال مصر من خلال :

(١) الثروات الزراعية والصناعية الموجودة فى أرض مصر .

(٢) حاجة بريطانيا إلى خليج السويس والثغور المصرية لتأمين مواصلاتها لإمبراطوريتها فى الهند .

(٣) تأمين التجارة ومصادرها عن طريق أسواق الشرق .

غـير أن الأفغانـي يسـوق لـنا أسـباباً خفـية إلا وهي خوف الإنجليز والفرنسـيين مـن قـيام خلافـة صحيحة بقيادة السلطان عبد الحميد توحد الأمة كالبنـيان المرصـوص ويسـتنجد هـذه الأمـة لمقاومـة أوروبـا وفرنسا فى تونـس والجزائـر وبـلاد العـرب لأن الإنجلـيز يعتقدون أن مصر باب الهند وخلـيج السـويس دهالـيزها فـإن اسـتفحل أمـر عرابـي وحـزبه لحق به المصـريون علـى اخـتلاف أجناسـهم وتـبعهم السوريين والعرب وهذا الذي دفـع بريطانـيا إلـى القضـاء علـى عرابـي بالحسنى أو بالإكراه ولما فشلت الحسنى نكلوا بهم فى ملحمة التل الكبير[٦٩] .

ورغـم ذلـك حـاول المصـريون أن يضعوا فى بلادهم أساس للحرية قـائم علـى تشـكيل مجلـس نـواب ، تملصاً من ربقة الاستبداد الذي يستجلب الوبـال علـى المسـتبد وخـروجاً مـن مضيق العبودية التي نشأت من الإيثار والاسـتئثار بـلا ملاحظـة المـنافع والمضـار وطلـباً فى الانخراط فى سلك الأمم المتمدنة رجاء أن يحظوا من السعادة بما حظيت به الأمم[٧٠] .

والإنجلـيز يعلمـون أن اتفـاق كلمـة المصـريين لإصـلاح بلادهـم بـالإدارة الشـورية يصـدهم عـن نجاحاتهم ومقاصدهم ويمنعهم من استملاك تلك الأقطار بمداخلاتها الودادية .

فـبدأ سـيناريو الشـقاق بيـن المصـريين والخديـوي بأن أعدوا العدة لـتحويل نظـر الخديـوي مـن أن هـذه المحاولـة هـي للقضاء على سلطانه وحكومـته[٧١] فكـيف يسـمحون بذلـك وهـم يدركـون أن مصر باب للشرق ولكـل دولـة مـن الـدول الغربـية مـآرب فيها فإذا وضعت إنجلترا يدها فى مصر خنقت الكل وضيقت عليهم تجارتهم .

وبذلك ألبوا عليهم فرنسا [٧٢] .

فباســم الملــك قــد ألقــم الإفــرنج جمــيع أموال مصر وما استدانه من صــرافي أوروبــا بالأربــاح الــباهظة ثم سعوا بعد ذلك إلى خلعه عن ملكه بل ونفيه خارج الديار المصرية ثم وضع اليد عليها [٧٣] .

فلــو تدبــروا فــى سياســة الحكومة الإنجليزية لرأوا أطماعها فى أرض مصر لما جلبوا هذه المصيبة على أنفسهم وعلى سلطانهم .

وهــذا يكشــف عــن مصــالح إنجلــترا فــى مصــر ممــا يدفعها إلى الاستماتة فى الحفاظ على بقاء مصر تحت سيادتها [٧٤] .

فكــان جمــال الديــن الأفغانــي محــباً لمصــر والمصــريين ، شــديد الارتــباط بهــم ، كثــير البحــث فــى القضــية المصــرية وما آل الأمر من سقوطها بين براثن بريطانيا .

ولســوف تخلــص مصــر لأهلهــا إذا هــم عملــوا بالحزم ، وهيئوا ما يلزم من العزم وما يتطلبه حكم الذات من القوى .

لا تحــيا مصــر ولا يحــيا الشــرق بدولة وإماراته إلا إذا أتاح الله لكل مــنها رجــلاً قويــاً عــادلاً يحكمــه بأهلــه علــى غــير طريق التفرد بالقوة والسلطان [٧٥] .

ويكشــف لــنا الأفغانــي أن مصــر بــاب الحرميــن وفى صون مصر صــون للإســلام ، فيقســم بعــزة الحــق !! إن مــا كتبته فى حق مصر وما استنهضــت مــن الهمــم ومــا حــذرت بــه مــن ســوء المصير لو تلى على الأمــوات لتحركــت أرواحهــم ولرفرفــت علــى أجداثهــم ولأحدثت لأعدائهم أحلاماً مزعجة ومراء مريعة .

كما أنه لا يخلو سطر من العروة الوثقى إلا وفيه ذكر "مصر" (٧٦).

ولا براهين وأدلة على ظلم الإنجليز إلا ويتمثل في مصر ولا خوف من شر مستطير يفكك أجزاء السلطنة العثمانية إلا ونراه من التهاون في أمر "مصر" لأن جرح مصر ينزف في جسد الأمة .

والأفغاني يقرأ في غيب الاستعمار فيقول "ولا يفوتن أهل الشرق العلم بأن كل مدينة وكل مقاطعة إسلامية شرقية هي بمنزلة "مصر" وإن لم تسقط تحت حكم أهل المطامع اليوم فالشراك لها منصوبة والسقوط قريب .

وكأن الأفغاني يجلس بيننا ولنا في بغداد مثال لتنبؤ بني على مقدمات صحيحة فلزمت هذه النتيجة التي تترنح فيها الأمة .

ويواصل الأفغاني كشف حبه لمصر فيقول : مصر أحب بلاد الله إلى وقد تركت فيها الشيخ محمد عبده طوداً من العلم الراسخ وعرمرماً من الحكمة والشمم وعلو الهمة همم وإني ليذهب بي العجب ويأخذ مني كل مأخذ عندما أرى المصريين في جمود وأولى الهمة منهم في قعود(٧٧) .

ويستعيد مجد مصر فيذكر فضل محمد على باشا في رفعة مصر إلى مصاف العظام .

ولم تقف أفكار الأفغاني عند حدود الخاصة والصفوة بل امتدت إلى عامة المواطنين فقد استهدف الأفغاني تحريك موات العوام في قوله "إنكم معاشر المصريين ، قد نشأتم في الاستعباد ، وربيتم بحجر الاستبداد ، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم ،

وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين .. تناوبتكم أيدي الرعاة ، ثم اليونان والرومان والفرس ، ثم العرب والأكراد والمماليك ، ثم الفرنسيس والمماليك والعلويين ، وكلهم يشق جلودكم.

ويحض المصريين ويقول : انظروا إلى أهرامات مصر وهياكل ...بس وحصون دمياط شاهدةً بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالرشيد فلاح

هبوا من غفلتكم واصحوا من سكرتكم ، وانفصلوا عنكم الغباوة والخمول .. وشقوا صدور المستبدين بكم لما تشقون أرضكم بمحاريثكم .. عيشوا كباقي الأمم أحراراً سعداء أو موتوا مأجورين شهداء (٧٨) .

تلك هي رؤية الأفغاني من مسألة مصر فى محاولته استنهاض الشعب المصري لمقاومة المحتل واستعادة ذاته لأن فى ذلك استعادة لكيان الأمة وعزتها فمصر فى عين جالوت وفى حطين هي مصر التي عصمت الأمة ورفعت من شأنها .

الخاتمـــة

الخاتمة : وتشمل أهم نتائج البحث

أولاً : كشفت الدراسة عن ملامح التمرد والاغتراب عند جمال الدين الأفغاني من خلال القهر السياسي الذي عاش فيه وقاومه حتى مات دونه أو قتل من أجله .

ثانياً : أبرزت الدراسة أصالة جمال الدين الأفغاني فى تبني كافة قضايا أمته الإسلامية رغم ما أشاعه عنه المغرضون والمشككون .

ثالثاً : ظهر أن فكر جمال الدين النهضوي فكر عملي يقوم على التطبيق العملي لأفكاره رغم اعتماده التنظير والخطابة طريق أو مفاتيح لانتقال أفكاره إلى الأمة .

رابعاً : لغة الخطاب السياسي والفكري عند الأفغاني متعددة المستويات والدرجات وتخاطب كل الأفهام والاتجاهات ولها سمة الحركة القادرة على اختراق الشعوب وتغييرها .

خامساً : بنى الأفغاني فكرة السياسي على النموذج المصري بسبب حبه لمصر وقد يكون ذلك راجع إلى زمن التواصل الذي عاشه فى مصر مما أتاح له قدراً كبيراً من الإبداع والتفكير وكذلك كثرة المتعلمين من أهل مصر والمتعلقين به مما ترتب عليه :

* سرعة فهمه والالتفاف حوله مما أدى إلى سرعة تأثر المصريين به ومن آثاره :

- تأسيس الحزب الوطني ــ والعروة الوثقى ــ ثورة عرابي .

- ونشأت فى رحابه مدرسة فكرية أثرت فى حركة الوعي الوطني

والقومي عند المصريين مما ظهر بعد ذلك فى ثورة ١٩١٩م سعد زغلول .

سادساً : أبرزت الدراسة حرص الأفغاني على تخليص المجتمع من آفات الوهن والضعف والجبن والغدر والخيانة عن طريق التذكير بالماضي دون الاحتماء به واستنهاض الحاضر من أجل أمة تحاول العودة إلى مجدها ووحدتها .

سابعاً : كشفت الدراسة عن حس سياسي رفيع لدى الأفغاني حيث أن القضايا التي ناقشها بفكره وباستقرائه للأحداث التاريخية فى زمنه وتحذيره من وقوعها قد وقعت فاحتلال إنجلترا لمصر فى زمنه هو نفس سيناريو احتلال إنجلترا وأمريكا للعراق .

ولعل مقالاته فى العروة الوثقى لهي خير دليل لمن يستطيع أن يطابق بين هذه الأحداث يوماً بيوم وزمناً بزمن وعدة بعدة وعتاداً بعتاد وخيانة بخيانة واستجلاب الاحتلال تحت دعوى الحرية .

ثامناً : بنى الأفغاني مشروعه لاستنهاض الأمة على :

أ ــ القفز فوق الجنسية والعودة إلى مفاهيم الأخوة الدينية .

ب ــ عدم الاحتماء بالماضي دون النظر إلى الحاضر وما يعتريه من علل وآفات لأن فى ذلك ضياع المجتمع فيرى أنه لا ينكر الماضي ولابد أن نحتمي به من خلال القيام بالتربية والإصلاح الأخلاقي على نهج أسلافنا .

جـ ــ تنبيه العلماء إلى دورهم الغائب الذي أدى إلى انحطاط المسلمين وغياب دورهم فمسئولية العلماء خطيرة وكبيرة ولابد من تحملها فهم أحد عناصر هزيمة الأمة وخذلانها .

د ــ إنهاء التواكل والتعلق بجبر القضاء والقدر والتعلق بحرية الإرادة للانطلاق إلى التحرر .

هــ ــ العزوف عن الرذائل والتعلق بالفضائل لأنها مفتاح تجمع الأمة لا تفرقها.

تاسعاً : يناهض الأفغاني الفكر الاستبدادي سواء كان للحكام والعمال والقائمين على سلطة الحكم ، ويناهض الحكومات الاستبدادية بأنواعها المختلفة كما عددها ويرى إنهم سبباً لفساد الأمة وانحطاطها.

عاشراً : ويستنهض الأفغاني الشعوب المسلمة للثورة على الاستعمار وخاصة شعب الهند وشعب مصر ويكشف لنا عن مدى تعلقه بمصر باعتبارها قلب الأمة النابض فإن اهتزت شعرت بها الأمة قاطبة .

ــ يبصر المصريين بهويتهم وقوتهم .

ــ يرفض مواقف الحكام الأتراك .

ــ يكشف عن أن سبب فصل السودان عن مصر حتى يكون لبريطانيا فى حال فشل الاستمرار فى احتلال مصر يكون لها قدم فى تأمين حماية سفنها فى البحر الأحمر .

ــ فالاستعمار عند الأفغاني هو تدمير للبنية وطمس للهوية وانتصار للظلم وقهر للشعوب .

حادي عشر : كشف الأفغاني عن كيفية تدمير الإنجليز لمصر بعد احتلالها بدعوى مساعدة أهلها على إعادة النظام والاستقرار والإصلاح لا بغرض الاحتلال ، وذلك من خلال ما يلي :

أ ـــ.تدمير الجيش المصري بتسريحه وإحلال مواطنين غير متخصصين مثل ما حدث فى العراق الآن .

ب ـــ تدمير الصناعات الوطنية مما أدى إلى تدمير الاقتصاد المصري وحدث ذلك بتدمير بنية العراق الاقتصادية والاستيلاء على ثرواته .

جـــ ـــ إثارة الفتنة بين طوائف الشعب المختلفة لزعزعة الاستقرار الداخلي . كما يحدث بين طوائف الشعب العراقي الآن .

د ـــ تسريح الموظفين من وظائفهم وتدمير الهيكل الإداري الوظيفي. كما حدث من تدمير الهيكل الوظيفي للدولة العراقية وتدمير المرافق الأساسية .

هـــ ـــ الاستفادة من جهل الشعب السياسي واستغلال ذلك فى إثارة حفيظة الكراهية تجاه الدولة العثمانية .

كشف الأفغاني عن تلاعب الاستعمار بالسلطة السياسية فى تعيين الحكام وخلعهم لكي يكونوا أداة طيعة فى يد الاستعمار . كما حدث الآن في أفغانستان والعراق ومحاولة تغيير الأنظمة بالقوة أو بغير ذلك .

تلك أهم النتائج التي كشف عنها البحث من خلال تلك الرؤية السياسية للقضية المصرية وما ترتب عليها من محاكاة هذا الماضي وظهور ذلك في التجربة العراقية وقبلها التجربة الأفغانية وبعدها التجربة الإيرانية فالسورية ولا ندري ماذا بعد ذلك ؟!

وكأن حديث الأفغاني وكلماته لهذه الأمة في الماضي هي قراءة لحاضر مؤلم نعيشه الآن وهذا نابع من أننا دائماً لا نهتم بقراءة تاريخ هذه الأمة ولا نهتم بماضيها الذي لا نتعلق به إلا إذا اشتدت الأزمات وتوالت النكبات فنسقط من ذاكرتنا الحاضر ونتعلق بالماضي وهاهي صرخة الأفغاني إلى المدن الإسلامية تتحقق . مستعمر متربص بكل مدينة وفكر جديد يحاول أن ينزع من بين أضلعنا عقيدة ارتضيناها وتراث أردنا أن ندافع عنه ونحتمي به .

هوامش الدراسة

الهوامش

(1) د . محمـــد عمارة : جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق ، طبعة دار الشروق ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، ص١٩ .

(2) د . محمـــد عمارة : الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، طبعة دار الشروق ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص١٤ .

(3) د . زياد خليل : ملامح الجديد فى فكر الأفغاني فى التعامل مع القرآن الكريم وأثـــره فـــى مـــنهج التفســـير فـــى العصـــر الحديث ، الكويت ، مجلة الشريعة ١٤٢٢هــ ، العدد ٤٧، ص٢٨ .

(4) عـــبد الرحمـــن الكواكبي : طبائع الاستبداد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م ، ص٥١ .

(5) الأفغاني : العروة الوثقى ، مقدمة ، ص٦٢ .

(6) بهاء الدين محمد علوان : عبد الرحمن الرافعي مؤرخ مصر الحديثة ، سلسلة أعلام العرب (١٢٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص٩٧ .

(7) سيد هادي خسرو شاهي : العروة الوثقى ، ص١٦ .

(8) العروة الوثقى : العدد الأول ، ص٩٧ .

(9) العروة الوثقى : العدد الأول ، ص٩٨ .

(10) العروة الوثقى : العدد الأول ، ص١٠٠ .

(11) العروة الوثقى : العدد الأول ، ص١٠٦ .

(12) العروة الوثقى : العدد الأول ، ص١٢٢ .

(13) العروة الوثقى : العدد الأول ، ص١٣٣ .

(14) العروة الوثقى : العدد الأول ، ص١٤٠ .

(15) العروة الوثقى : العدد الأول ، ص١٤٤ .

(16) الأفغاني : العروة الوثقى ، مقال التعصب ، ص١٣٩ .

(١٧) الأفغاني : العروة الوثقى ، القضاء والقدر ، ص٤٣ .

(١٨) الأفغاني : العروة الوثقى ، القضاء والقدر ، ص١٤٤ .

(١٩) سورة آل عمران ، آية ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢٠) الأفغاني : العروة الوثقى ، الفضائل والرذائل وأثرها ، ص١٥٠ .

(٢١) الأفغاني : العروة الوثقى ، الفضائل والرذائل وأثرها ، ص١٥٤ .

(٢٢) الأفغاني : العروة الوثقى ، الفضائل والرذائل وأثرها ، ص١٥٥ .

(٢٣) الأفغاني : العروة الوثقى ، الفضائل والرذائل وأثرها ، ص١٥٥ .

(٢٤) الأفغاني : العروة الوثقى ، مقال الوحدة الإسلامية ، ص١٥٧ .

(٢٥) الأفغاني : العروة الوثقى ، مقال الوحدة الإسلامية ، ص١٥٨ .

(٢٦) الأفغاني : العروة الوثقى ، مقال الوحدة الإسلامية ، ص١٦٠ .

(٢٧) سورة الحجرات ، آية : ١٠ .

(٢٨) سورة الحجرات ، آية : ٩ .

(٢٩) سورة محمد ، آية : ٧ .

(٣٠) الأفغاني ومحمد عبده : العروة الوثقى ، مقال الأمل وطلب المجد ، ص١٧٠ .

(٣١) الأفغاني ومحمد عبده : العروة الوثقى ، مقال الأمل وطلب المجد ، ص ١٧٥ .

(٣٢) الأفغاني : العروة الوثقى ، رجال الدولة وبطانة الملك ، ص١٨٠ .

(٣٣) الأفغاني : العروة الوثقى ، رجال الدولة وبطانة الملك ، ص١٨٠ .

(٣٤) الأفغاني : العروة الوثقى ، حكمة الله فى حب المحمدة الحق ، ص١٨٤ .

(٣٥) الأفغاني : العروة الوثقى ، الأمة وسلطة الحاكم المستبد ، ص١٩١ .

(٣٦) الأفغاني : العروة الوثقى ، الأمة وسلطة الحاكم المستبد ، ص١٩١ .

(٣٧) الأفغاني : العروة الوثقى ، الأمة وسلطة الحاكم المستبد ، ص١٩٢ .

(٣٨) الأفغاني : الرسائل ، الحكومة الاستبدادية ، مج٣ ، ص٥٧ وما بعدها .

(39) الأفغاني : العروة الوثقى ، الوهم ، ص٢٢٢ .

(40) الأفغاني : العروة الوثقى ، زلزال الإنجليز فى السودان ، ص٢٢٨ .

(41) الأفغاني : العروة الوثقى ، الجبن ، ص٢٢٦ .

(42) الأفغاني : العروة الوثقى ، زلزال الإنجليز فى السودان ، ص٢٢٩ .

(43) الأفغاني : العروة الوثقى ، زلزال الإنجليز فى السودان ، ص٢٢٧ .

(44) الأفغاني : العروة الوثقى ، سياسة الإنجليز فى الشرق ، ص٢٣٧ .

(45) الأفغاني : العروة الوثقى ، مصر ، ص٢٣٩ .

(46) الأفغاني : العروة الوثقى ، جوردن باشا ، ص٢٤٧ .

(47) الأفغاني : العروة الوثقى ، المسألة المصرية ، ص٢٥٠ .

(48) الأفغاني : العروة الوثقى ، اضطراب سياسة الإنجليز فى مصر ، ص٢٥٨ .

(49) الأفغاني : العروة الوثقى ، برلمان إنجلترا ، ص٢٥٩ .

(50) الأفغاني : العروة الوثقى ، الباب العالي ، ص٢٦١ .

(51) الأفغاني : العروة الوثقى ، الباب العالي ، ص٢٦١ ، كذلك الدولة العثمانية ، ص٢٨٢ .

(52) الأفغاني : العروة الوثقى ، منشورات ، ص٢٦٨ .

(53) الأفغاني : العروة الوثقى ، مقاصد إنجليزية فى مصر ، ص٢٧٤ .

(54) الأفغاني : العروة الوثقى ، فرصة سانحة ، ص٣٢٨ .

(55) الأفغاني : العروة الوثقى ، المسألة المصرية والإنجليزية ، ص٣٠٦ .

(56) الأفغاني : العروة الوثقى ، صفقة خاسرة ، ص٣٣٧ .

(57) الأفغاني : العروة الوثقى ، هجوم على السودان ، ص٣٦٤ .

(58) الأفغاني : العروة الوثقى ، السودان ومصر ، ص٣٦٦ .

(59) الأفغاني : العروة الوثقى ، العدالة الإنجليزية ، ص٣٨٠ .

(60) الأفغاني : العروة الوثقى ، ص٤١٦ .

(61) الأفغاني : العروة الوثقى ، إنجلترا وفرنسا ، ص٣٨٢ .

(٦٢) الأفغاني : العروة الوثقى ، يقظة من سنة ، ص٤٠٦ .

(٦٣) الأفغاني : العروة الوثقى ، فرصة يجب أن لا تضيع ، ص٤١٤ .

(٦٤) الأفغاني : العروة الوثقى ، هؤلاء رجال الإنجليز وهذه أفكارهم ، ص٤٢١ .

(٦٥) محمد رفعت : تاريخ مصر السياسي ، ج٢ ، دار الكتب المصرية ، ص ١٥٢ .

(٦٦) الأفغاني : العروة الوثقى ، اللورد نورث عالم مصر الجديد ، ص٤٢٨ .

(٦٧) الأفغاني : الرسائل ، رسالة أحرار يقتلون الحرية ، ج٣ ، ص٧٣ .

(٦٨) الأفغاني : الرسائل ، رسالة خطبة الاسكندرية زيزينيا ، ص١٠٣ .

(٦٩) الأفغاني : الرسائل ، أسباب الحرب على مصر ، ج٣ ، ص١١٢ ، ١١٣ .

(٧٠) الأفغاني : الرسائل ، رسالة الحق والباطل ، ص١١٨ .

(٧١) الأفغاني : الرسائل ، رسالة الحق والباطل ، ص١٢٠ .

(٧٢) الأفغاني : الرسائل ، رسالة الإنجليز فى الهند ومصر ، ص١٤٦ .

(٧٣) الأفغاني : الرسائل ، رسالة الشرق والشرقيون ، ص١٦٥ .

(٧٤) الأفغاني : ضياء الخافقين ، ج٤ ، ص٧٦ .

(٧٥) الأفغاني : خاطرات الأفغاني ، ج٦ ، ص٨٢ .

(٧٦) الأفغاني : المسألة الشرقية ، ج٦ ، ص١٩٧ .

(٧٧) الأفغاني : المسألة الشرقية ، ص١٩٨ .

(٧٨) الأفغاني : المسألة الشرقية ، ص١٩٩ .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١ ـ **بهاء الدين محمد علوان** : عبد الرحمن الرافعي مؤرخ مصر الحديثة ، سلسلة أعلام العرب (١٢٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢ ـ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، ج١ .

٣ ـ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، ج١ ، جوردن باشا ، ص٢٤٧ .

٤ ـ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، ج١ ، المسألة المصرية ، ص ٢٥٠ .

٥ ـ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، ج١ ، اضطراب سياسة الإنجليز في مصر ، ص٢٥٨ ، رأى مستر بلونت في المسألة المصرية ، ص٣٠٣.

٦ ـ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، ج١ ، برلمان إنجلترا ، ص ٢٥٩ .

٧ ـ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، ج١ ، الباب العالي ، ص٢٦١ .

٨ ـ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، ج١ ، الدولة العثمانية ، ص٢٨٢ .

٩ ـ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، ج١ ، منشورات ، ص٢٦٨ .

١٠ ـ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، ج١ ، مقاصد إنجليزية في مصر ، ص٢٧٤ .

١١ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقـــى ، ج١ ، فرصـــة سانحة ، ص٣٢٨ .

١٢ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقـــى ، ج١ ، المسألة المصرية والإنجليزية ، ص٣٠٦ .

١٣ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقـــى ، ج١ ، صـــفقة خاسرة ، ص٣٣٧ .

١٤ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العروة الوثقى ، ج١ ، هجوم على السودان ، ص٣٦٤ .

١٥ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقـــى ، ج١ ، السودان ومصر ، ص٣٦٦ .

١٦ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقـــى ، ج١ ، العدالة الإنجليزية، ص٣٨ .

١٧ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقـــى ، ج١ ، إنجلترا وفرنسا ، ص٣٨٣ .

١٨ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقـــى ، ج١ ، يقظـــة من سنة ، ص٤٠٦ .

١٩ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقـــى ، ج١ ، فرصـــة يجب أن لا تضيع ، ص٤١٤ .

٢٠ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العروة الوثقى ، ج١ ، هؤلاء رجال الإنجليز وهذه أفكارهم ، ص٤٢١ .

٢١ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقـــى ، ج١ ، اللورد نورث عالم مصر الجديد ، ص٤٢٨ .

٢٢ ـ **جمال الدين الأفغاني** : الرسائل .

٢٣ ـ **جمـال الديـن الأفغانـي** : الرسائل ، رسالة أحرار يقتلون الحرية ج٣ ، ص٧٣ .

٢٤ ـ **جمـال الديـن الأفغانـي** : الرسائل ، رسالة خطبة الإسكندرية زيزينيا ، ج٣ ، ص١٠٣ .

٢٥ ـ **جمـال الديـن الأفغانـي** : الرسـائل ، رسـالة أسباب الحرب بمصر ، ج٣ ، ص١١٢ ، ١١٣ .

٢٦ ـ **جمـال الديـن الأفغانـي** : الرسـائل ، رسـالة الحق والباطل ، ج٣ ، ص١١٨ .

٢٧ ـ **جمـال الديـن الأفغانـي** : الرسائل ، رسالة الإنجليز فى الهند ومصر ، ج٣ ، ص١٤٦ .

٢٨ ـ **جمـال الديـن الأفغانـي** : الرسائل ، رسالة الشرق والشرقيون ، ج٣ ، ص١٦٥ .

٢٩ ـ **جمال الدين الأفغاني** : ضياء الخافقين ، ج٤ ، ص٧٦ .

٣٠ ـ **جمال الدين الأفغاني** : خاطرات الأفغاني ، ج٦ ، ص٨٢ .

٣١ ـ **جمال الدين الأفغاني** : المسألة الشرقية ، ج٦ ، ص١٥٧ .

٣٢ ـ **جمـال الديـن الأفغانـي** : العـروة الوثقـى ، مقـال التعصب ، ج١ ، ص١٣٩ .

٣٣ ـ **جمـال الديـن الأفغانـي** : العـروة الوثقـى ، القضـاء والقدر ، ج١ ، ص١٤٣ .

٣٤ ـ **جمـال الديـن الأفغانـي** : العـروة الوثقى ، الفضائل والرذائل وأثرها، ج١ ، ص١٥٠ .

٣٥ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقـــى ، مقال الوحدة الإسلامية ، ج١ ، ص١٥٧ .

٣٦ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقى ، مقال الأمل وطلب المجد، ج١ .

٣٧ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العروة الوثقى ، جمال الدولة وبطانة الملك ، ج١ ، ص١٨٠ .

٣٨ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العـــروة الوثقى ، حكمة الله فى حب المحمدة الحقة ، ج١ .

٣٩ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العروة الوثقى ، الأمة وسلطة الحاكم المستبد، ج١ ، ص١٩١ .

٤٠ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : الرســـائل ، الحكومـــة الاســـتبدادية ، ج٣ ، ص٥٧ .

٤١ ــ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، الوهم ، ج١ ، ص٢٢٢.

٤٢ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العروة الوثقى ، زلزال الإنجليز فى السودان، ج١ ، ص٢٢٩ .

٤٣ ــ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، مقال الجبن ، ج١ ، ص٢٢٦

٤٤ ــ **جمـــال الديـــن الأفغانـــي** : العروة الوثقى ، سياسة الإنجليز فى الشرق ، ج١ ، ص٢٣٧ .

٤٥ ــ **جمال الدين الأفغاني** : العروة الوثقى ، مصر ، ج١ ، ص٢٣٩.

٤٦ ــ **د . زيـــاد خلـــيل** : ملامـــح الـــتجديد فـــى فكر الأفغاني فى التعامل مع القـــرآن الكـــريم وأثـــره فـــى مـــنهج التفسير فى

العصـــر الحديـــث ، الكويـــت ، مجلـــة الشريعة ١٤٢٢هـــ ، العدد ٤٧ .

٤٧ ــ **سيد هادي خسر شاهي** : العروة الوثقى ، العدد الأول .

٤٨ ــ **عــبد الرحمـــن الكواكبـــي** : طـــبائع الاســـتبداد ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م .

٤٩ ــ **محمـــد رفعـــت** : تـــاريخ مصر السياسي ، دار الكتب المصرية ، بدون تاريخ .

٥٠ ــ **د . محمـــد عمـــارة** : جمـــال الديـــن الأفغاني موقظ الشرق ، طبع دار الشروق ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م .

٥١ ــ **د . محمـــد عمـــارة** : الأعمـــال الكاملـــة للشيخ محمد عبده ، طبع دار الشروق ، ط١ ، ١٩٩٣م .